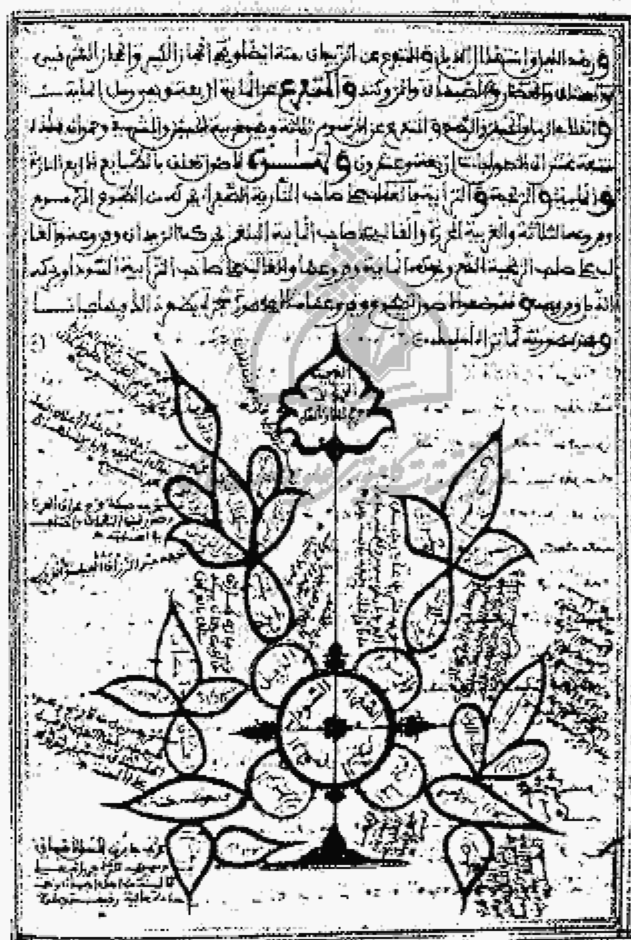
دراسات أندلسية

شبوب



مخطوط في المعالجة بالموسيقى

رمضان 1416 عدد 15 جانفي 1996

مجلّة دراسات أندلسيّة

مجلّة علميّة مختصّة مُحكّمة في الدّراسات المتعلّقة بإسبانيا الإسلاميّة

* * * * *

مؤسّسها ومديرها

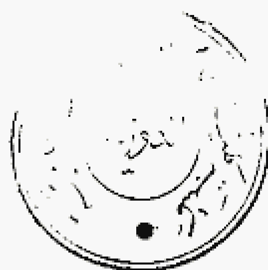
جمعة شيخة

تصدر المجلّة مرّتين كلّ سنة في جانفي وجوان.

تسدّد قيمة الاشتراك عن طريق حوالة بريديّة في الحساب الجاري 94-543 تونس، أو بواسطة حوالة بنكيّة (وفي هذه الحالة يكون مقابل التّحويل البنكي على حساب المشترك).

توجّه المراسلات باسم مدير المجلّة إلى العنوان التالي : د. جمعة شيخة.

ص.ب. رقم 51-1008 تونس ـ باب منارة ـ الجمهوريّة التونسيّة ـ تليفون : 227.616.



مجلّة
دراسات أندلسيّة

العدد الخامس عشر

رمضان / جانفي

1416 / 1996



طبع بمطبعة المغاربيّة للطبّاعة والنّشر والإشهار

(1500 نسخة)

تونس

الفهـــــرس

*****

تصديـــر

كبـــار رحلـــوا

خسرت السّاحة الفكريّة خلال السّنة الماضية 1995 ثلاثة وجوه بارزة، كان لها دورها الكبير وأثرها المتميّز في مجال الدّراسات الاجتماعيّة والدّينيّة والأدبيّة المتعلّقة بالحضارة العربيّة الإسلاميّة.

نعم لقد فارقنا من انبرى للمجتمعات العربيّة المعاصرة دارسا ومحلّلا، وغاب عنّا من كرّس جهده للفكر الإسلامي منظرا ومقارنا، وتركنا من كان لأدب الفردوس الأندلسي وحضارته ناقدا ومترجما.

نظر الأول في مجتمعاتنا العربيّة بعقل يقظ وفكر ثاقب، ودرس الثّاني الجانب الفكري من الحضارة العربيّة الإسلامية بصبر وأناة، وانكبّ الثالث على الإبداع الأندلسي بتمعّن وتدقيق.

نعم لقد تعدّدت بحوثهم وتنوّعت دراساتهم. لكنّ خيطا رابطا كان يجمعهم : هذا الخيط هو صرامة المنهج، وموضوعيّة الحكم ، وحصافة الرّأي . وهناك هدف واحد رنوا إليه بعقل جامح بطموحه، وضمير كابح بإنسانيّته. فما هو هذا الهدف ؟

إنّه غرس قيم أصبحت مع الأسف عملة نادرة في هذا الزّمن. فطوبى لمن أنتج أثرا لينبت قيما إنسانيّة خالدة. وطوبى لمن اقتلع أشواكا تدمي وغرس مكانها زهرات تفوح.

لقد عاش ثلاثتهم في بلدان على ضفاف البحر الأبيض المتوسّط. ومنذ أسابيع انعقدت ندوة غايتها الأولى والأخيرة جعل هذا البحر بحيرة أمن ورخاء، وتعاون بين كافّة شعوبه.

لم يكن الفرنسي جاك بارك حاضراً في ندوة برشلونة، ولم يكن التونسي سعد غراب مع المؤتمرين فيها، ولا كان الإسباني غرسية غومث من المناقشين لبنودها. لكن انظروا إلى ما تمخضت عنه هذه النّدوة من قرارات ستجدونها مضمّخة بعبيق أرواحهم، مفعمة بنيّر أفكارهم.

إنهم كبار، وللكبار صولة حتى بعد الموت.

د. جمعة شيخة

مدير المجلة

ابن وهبون : شعره

(القسم الثاني)*

أ. مبارك الخضراوي

(تونس)

I- شعر ابن وهبون :

1- جمعه قبل محاولتنا هذه :

لقد حظي شعر عبد الجليل بن وهبون بالعناية والاهتمام في منتصف القرن 6 / 12 من قبل ابن بسام الذي أشار إلى أنه " جمع شعره على حروف المعجم في تصنيف ترجمه بـ " كتاب الإكليل المشتمل على شعر عبد الجليل" [1].

وما محاولة ابن بسام هذه إلا دليل على غزارة شعر ابن وهبون الذي بقي محفوظا حتى أوائل القرن6 / 12، مما حدا بابن بسام إلى أن يفرد له تصنيفا مرتّبا على حروف المعجم لأنّ مخطوطه لا يتسع لذلك بدليل قوله "وضاق ذرع هذا المجموع عن تضمين ماله من البديع" [2].

ولقائل أن يقول فيمَ إعادة الجمع وقد حفظ تصنيف ابن بسام شعر ابن وهبون، وكفى الدارسين من بعده عنا، ذلك فتصبح محاولتنا اليوم ضربا من الاتباع والتقليد لا يضيف جديدا إلى محاولة ابن بسام، بل قد ينفي عنا جهد البحث ولذة " الكشف والإبداع - فما سر محاولتنا هذه ؟

2 - ضياع محاولة ابن بسام :

لا إشارة في مصادر بحثنا ولا في أشهر فهارس المخطوطات والمطبوعات إلى ما يفيد أن "كتاب الإكليل" المشتمل على شعر عبد الجليل قد حُفِظ أو نُشر.

ولم نكتف بالوقوف عند هذه الإشارة ونقنع بها، بل سعينا إلى النظر في المراجع الحديثة التي اهتم فيها أصحابها بالأدب الأندلسي عامة وابن وهبون الأندلسي خاصة. فأجمع بعضها [3] على أن تصنيف ابن بسام قد ضاع، وبقيت أشعار ابن وهبون موزّعة بين كتب التراجم ومصنفات

---

* نواصل نشر البحث الذي قام به السيد مبارك الخضراوي في نطاق شهادة الكفاءة للبحث العلمي بإشراف الأستاذ صالح البكاري. وقد نوقش هذا البحث بكلية الآداب - تونس في سبتمبر 1985 (انظر القسم الأول من هذه الدراسة في مجلة دراسات أندلسية عدد 10 سنة 1993 ص ص 42 - 56).

1) ابن بسام : الذخيرة ق II م I ، 477.

2) ابن بسام : المصدر نفسه، 477.

3) السعيد : الشعر 305 وخالص : مجلة 12، 556 ودائرة المعارف III، 988.

الأدب. وكانت غايتنا من هذا السعي الطمع في العثور على إحالة متأخرة تشير إلى اهتمام بعض المحدثين بجمع أشعار ابن وهبون أو بتقصيرهم عن ذلك، فلم نهتد إلى أن واحدا منهم سبقنا إلى هذه المحاولة بل أحجموا عن ذلك. وأمام هذين المعطيين وجهنا اهتمامنا إلى النظر في بطون المصادر والمراجع محاولين جمع بقية أشعار ابن وهبون في "مدونة " ضمت 459 بيتا انتظمت في 47 مقطوعة تراوحت أبياتها بين البيت الواحد اليتيم و52 بيتا، كما هو مثبت في جدول مقطوعات ابن وهبون بحسب عدد أبياتها.

وهو جدول نعتبره اعتمادا على ما عدنا إليه من مصادر ومراجع بها مجموع شعر ابن وهبون بعد ضياع تصنيف ابن بسام.

وليس في وسعنا أن ندعي لهذا المجموع الإحاطة والشمول فنعتبره "ديوان ابن وهبون" إيمانا منّا بأنّ كل جهد بشري قابل للتّحسين والتّكميل، بدليل أن ابن بسام قد جمع أشعاره على حروف المعجم في حين لم يوصلنا عناء الجمع والبحث إلا إلى 15 حرفا، وتعتبر الذخيرة أكثر المصادر ايراداً لشعر ابن وهبون.

جدول مقطوعات ابن وهبون بحسب عدد أبياتها :

عدد الأبيات	عدد القطع	مجموع الأبيات	رقم القطع
1	7	7	14، 28، 32 -->35، 43.
2	14	28	2، 6، 12، 18، 22، 24، 25، 29، 31، 41، 42، 44، 46، 47.
3	4	12	7، 11، 13، 30.
4	4	16	5، 16، 17، 27.
5	3	15	10، 23، 37.
6	1	06	15.
9	2	18	19، 36.
16	1	16	9.
17	2	34	4، 40.
18	2	36	8، 21.
21	1	21	38.
32	1	32	20.
34	1	34	26.
40	1	40	45.
43	1	43	3.
49	1	49	1.
52	1	52	39
17	47	459	

II - دراسةُ مدونّةِ ابن وهبون :

لئن أقرّ ابن رشيق أن " اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختلّ بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهُجنة عليه ... وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ "[4] . فإنّنا سنحاول في دراستنا مدونة ابن وهبون بتر هذه العلاقة المتينة التي أشار إليها ابن رشيق حتى يتسنى لنا النظر في أهمّ خصائص المبنى وأهم خصائص المعنى في المدونة. وليست غايتنا من هذا الفصل بين المبنى والمعنى إلا غاية منهجيّة حتى تكون معالم محاولتنا أكثر وضوحا وجلاء.

1- خصائص المبنى :

إنّ الناظر في الجدول الذي أثبتنا فيه مقطوعات ابن وهبون بحسب عدد أبياتها يلاحظ أنه ضم البيت الواحد اليتيم، كما ضم القطعة الطويلة التي اشتملت على 52 بيتا. لذلك ارتأينا أن نستخرج منه جدولا ثانيا نفصّل فيه ما بين القصيدة وما دونها.

	القصائد	ما دون القصائد		
		الأيتام	النتف	القطع
	52 -9	1	3 - 2	6 - 4
رقم القطع	1، 3، 4، 8، 9، 19، 21، 26، 36، 38، 40، 45	14، 28، 32، 35، 43	2، 6، 7، 11، 13، 18، 22، 24، 25، 29، 31، 41، 42، 44، 46، 47	5، 10، 15->17، 23، 27، 37
عددها	14	7	18	8
مجموع أبياتها	357	7	40	37

---

(4) ابن رشيق : العمدة 1 ، 124.

فهذا التقسيم يساعدنا على تصنيف مقطوعات ابن وهبون وإبراز هيكلها باعتبار طولها وقصرها، ويمكننا أيضا من إبداء بعض الملاحظات والآراء التي تتعلق بالمبنى.

2- قصائـد أم قطـع ؟

إن سلّمنا بما ذهب إليه ابن رشيق في باب القطع والطوال في قوله : "إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة ... ومن الناس من لا يعد القصيدة الا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد ... ويستحسنون أن تكون القصيدة وترا وأن يتجاوز بها العقد أو توقف دونه" [5] ، يتضح من الجدول أن القطع التي يمكن اعتبارها قصائد 14 قطعة وأما البقيّة وعددها 33 فهي مقطوعات ضمّت الأيتام والنتف والقطع.

ومما لا شك فيه أن القطع في هذا الجدول تطغى على الطوال أو القصائد من جهة النظم لا من جهة الكم الشعري، إذ هو في القطع 84 بيتا وفي القصائد 375 بيتا.

وهذا التفاوت في قصر النظم وطوله يفترض أحد احتمالين : فإمّا أن يكون ابن وهبون قصير النفس أو على رأي " أنّ القصار أولج في المسامع وأجول في المحافل" [6] ، وهو أمر نستبعده إذ ذكرت لنا بعض المصادر [7] في الفصل الأول من هذا البحث أنه نظم قصيدة في مدح ابن عباد بلغت تسعين بيتا، و إمّا أن يكون أصحاب المصادر التي اعتمدنا في تخريج أشعاره قد اقتصروا على أبيات دون سواها في بعض القصائد، وهو المرّجح عندنا، بدليل أن جامع [8] القطعة 27 أشار إلى أنها جزء من قصيدة مدحية في ابن عباد لم تتمكن من العثور على بقية أبياتها.

وهكذا نلاحظ أن مدونة ابن وهبون الشعرية ضمت القطع والطوال أو القصائد، فهي إذن على حد القول المأثور " كلام موزون مقفّى"

فما هي خصائصُ هذا الكلام ومظاهرُه :

---

5) ابن رشيق : العمدة I، 188-189

6) ابن رشيق : العمدة I، 187.

7) ياقوت : البلدان I، 518.

8) الحميري : الصفة، 111.

أ- بحورُ أشعارِ ابن وهبون وعددُ قصائدها وقطعها وأرقامها:

البحـــر	عدد القصائد والقطع	أرقامهـــــا
1- البسيط	11	8، 11، 15، 19، 20، 21، 26، 38، 40، 41، 46.
2- الطويل	9	3، 4، 5، 9، 12، 25، 28، 31، 47.
3- الكامل	9	1، 2، 17، 18، 23، 30، 35، 36، 43.
4- الوافر	7	6، 7، 27، 34، 37، 39، 45.
5- المنسرح	4	10، 14، 16، 22.
6- المتقارب	2	29، 44.
7- الخفيف	2	24، 42.
8- السريع	2	13، 32.
9- الرمل	1	33.
9	47	47

يتضح من هذا التصنيف أن ابن وهبون نظم ما أمكننا العثور عليه من بقية أشعاره على ما يزيد على نصف البحور الخليلية مستخدما كل الدوائر. فكانت البحور الرصينة الوفيرة المقاطع من الدائرتين الأولى والثانية أكثر اختيارا من سواها. إذ انتظمت في 36 قطعة من 47. كما حوت 434 بيتا من مجموع أشعاره في المدونة، فكان ترتيب البحور على النحو التالي :

1- البسيط يحتلّ المرتبة الأولى.

2- الطويل فالكامل في مرتبة ثانية.

3- الوافر ينفرد بالمرتبة الثالثة.

4- المنسرح ينفرد أيضا بالمرتبة الرابعة.

5- المتقارب فالخفيف فالسريع في مرتبة خامسة.

6- الرمل ينفرد بالمرتبة الأخيرة.

فهل يبقى الترتيب نفسه إن نحن صنفنا البحور باعتبار عدد أبيات قصائدها وقطعها ؟

ب- تصنيف البحور باعتبار عدد أبيات قصائدها وقطعها :

البحر	عدد القطع	رقم القطعة	مجموع الأبيات
1- البسيط	11	8، 11، 15، 19، 20، 21، 26، 38، 40، 41، 46.	162
2- الطويل	9	3، 4، 5، 9، 12، 25، 28، 31، 47.	89
3- الكامل	9	1، 2، 17، 18، 23، 30، 35، 36، 43	76
4- الوافر	7	6، 7، 27، 34، 37، 39، 45.	107
5- المنسرح	4	10، 14، 16، 22.	12
6- المتقارب	2	29، 44.	4
7- الخفيف	2	24، 42.	4
8- السريع	2	13، 32.	4
9 - الرمل	1	33.	1
المجموع	47	47	459

فبالمقارنة بين جدول البحور بحسب عدد القصائد والقطع، وبين جدول البحور باعتبار أبيات القصائد والقطع نلاحظ أن :

1- البحر البسيط حافظ على المرتبة الأولى.

2- البحر الوافر احتل المرتبة الثانية بعد أن كان في المرتبة الثالثة.

3- البحر الطويل صار في المرتبة الثالثة بعد أن كان يحتل المنزلة الثانية.

4- البحر الكامل أصبح في المرتبة الرابعة بعد أن كان يحتل المنزلة الثانية.

5- البحر المنسرح أصبح في المرتبة الخامسة بعد أن كان ينفرد بالمرتبة الرابعة.

6- البحر المتقارب فالخفيف فالسريع في مرتبة سادسة.

7- البحر الرمل حافظ على مرتبته الأخيرة.

ولعل هذه المقارنة بين الجدولين توضّح اختيار ابن وهبون للبحور الوفيرة المقاطع من الدائرتين الأولى والثّانية لملاءمتها للنفس الشعري أكثر من سواها. كما تُنبّه الدارس إلى جريه على سنة القدماء، وكلاسيكيته في نظم أشعاره.

ومن الملاحظ أيضا أن مدوّنة شعره بدت خالية من بقية البحور الأخرى. كما لم تعثر فيها على المجزوءات من البحور إذ كانت كلّها تامة ممّا لا يترك مجالا للشك في طابع شعر ابن وهبون الكلاسيكي. ذلك أن أغلب شعر القدامى كان على البحور الرصينة خاليا من المجزوءات.

وبما أن الشعر ليس كلاما موزونا فقط بل هو أيضا كلام مقفى، فما هي أنواع قوافي شعر ابن وهبون وخصائصها ؟

ج- ترتيب أشعار ابن وهبون باعتبار رويّها:

الــــروي	عــدد القطــع	رقمهـــــــا
البـــاء	11	13-3
الـــلام	7	44 - 38
الـــدال	6	24 - 19
الـــراء	6	31 - 26
الحـــاء	3	18 - 16
القـــاف	3	37 - 35
الهمـــزة	2	2 - 1
الفـــاء	2	34- 33
التـــاء	1	14
الثـــاء	1	15
الـــذال	1	25
العيـــن	1	32
الميـــم	1	45
النـــون	1	46
الهـــاء	1	47
15	47	47

يتضح لنا من خلال هذا الجدول أن ابن وهبون قد استخدم لروي أشعار مدونته التي جمعناها ما يزيد على نصف حروف الهجاء. وقد حرصنا على أن نرتّب رويّها ترتيبا تنازليا يبرز درجة التواتر فيها، ويمكننا من إبداء بعض الملاحظات قد توصلنا إلى بعض الاستنتاجات.

إن الحروف التي استعملها الشاعر تبدو لنا من الحروف السهلة الميسورة النطق التي يطرد ورودها في آخر الكلمات، وقد نظم عليها السابقون أشعارهم. فعلى الباء واللام والدال والراء - وهي المتواترة في الشعر العربي القديم - نظم ابن وهبون أكثر من نصف أشعاره، وهذا دليل على اتباعه لسنة القدماء ومجاراته لطريقتهم في النظم.

وكما أشرنا في جدول البحور إلى أنّ ابن وهبون كان يسعى إلى اختيارها، فإنّه سعى أيضا إلى اختيار قوافيه واعتنى بها باعتبارها لازمة النغم في الشعر، فكانت أغلبها ذُللا ما عدا قطعتين[9] نظمها على حرفين غير مأنوسين في الشعر العربي، فكأنه وعى تقسيم المعرّي القوافي إلى ذلل ونفر وحوش "فالذلل ما كثر على الألسن وهي عليه في القديم والحديث، والنفر ما هو أقل استعمالا من غيره كالجيم والزاي ونحو ذلك، والحوش اللّواتي تهجر فلا تستعمل"[10]

وغير غريب أن يكون ذلك كذلك كما سنوضحه عند تناولنا بالدرس معاني مدونته وأغراضها. ولكن هل الشعر وزن وقافية فقط ؟ لا شك أنه، قبل أن يكون هذا أو ذاك، كلام متميز عن الكلام العادي بلغته وموسيقاه.

فما هي مقومات لغة ابن وهبون وخصائصها في مدونته ؟

III - مقومات المدوّنة اللغوية وخصائصها :

أ- على مستوى اللفظ المفرد :

إن الناظر في شعر ابن وهبون يلاحظ أنه بقدر ما كان حريصا على اختيار بحوره وقوافيه كان حريصا على انتقاء ألفاظه باعتبارها أجساما لأرواح هي المعاني، لكن لم يطلبها كثيرا. فقد كان اللفظ عنده ينبعث من عفو بديهة لا من كدّ رويّة راعى فيه المقام فلا هو في جملته بالمبتذل ولا بالحوشي الغريب.

ولم يشذّ الشاعر عن الشعراء القدامى وشعراء عصره في أساليب نظم الشعر، فعمد إلى إدخال الحركية في البناء الشعري، مستعينا ببعض الأساليب البديعية التي تمق الأشعار إذا لم تكن غاية مقصودة لذاتها، فلم تخل مدونته من بعضها فتضمنت بعضُ أبياتٍ من مجموعه

---

9) انظر القطعتين 15 و25.

10) المعري : اللزوميات I، 37.

الاستعارة[11] والجناس[12] والطباق[13] والمقابلة[14].

فابن وهبون لم يكبّل لغته بالقوالب الشكلية الجامدة ولم يجعل منها "قصورا حمراء لفظية[15]" مما يؤكد حرصه على اختيار لفظه وانتقائه، فكانت لغته في جملتها لا تخلو من جزالة ومتانة سبك ووضوح.

ب- مصدر اختيار لفظته الشعريـــة :

إن المتأمل في شعر ابن وهبون على مستوى اللفظ يلحظ فيه مجموعة من العناصر مستمدة من بيئة الأندلـس : ففيه ذكـر للنهـر والمـاء[16] والبركة[17] والزهر والورد[18] والتماثيل الحيوانية في القصور[19] وذكر المواقع والأيام[20] والأعلام[21] والتعابير الدينية[22].

وهذه العناصر تؤلف قاموسا شعريا ينبني عليه شعر ابن وهبون على مستوى اختيار اللفظ والكلمة الشعرية التي كانت دعامة شعره وركيزته.

ج- موسيقى البناء الداخلي في لغة المدونة :

التزم ابن وهبون في مدونته بالقافية الواحدة التي تضفي على القصيدة نغما صوتيا يشد انتباه السامع، كما عمد في بعض أشعاره[23] إلى التصريع في طالع المقطوعة والتكرار في بعضها الآخر[24] باعتباره يشكل نغما موسيقيا، وأكثر ما وقع عنده كان في الالفاظ، ولم يخل بناء مقطوعاته من تضمين لأشعار القدامى[25] وإشارات إلى آيات قرآنية[26] وأمثال

---

11) انظر على سبيل المثال لا الحصر القطع 1، 10، 16، 26.

12) انظر أيضا القطعة 39.

13) انظر أيضا القطعة 23.

14) انظر أيضا القطعة 8.

15) غرسي : الشعر الأندلسي 25.

16) انظر القطعتين ، 22، 27.

17) انظر القطعة 13.

18) انظر القطعة 31.

19) انظر القطعة 39.

20) انظر القطعتين 12، 39.

21) انظر القطعتين 4، 45.

22) انظر القطع 2، 8، 20، 21.

23) انظر القطع 1، 3، 8، 20، 21، 23، 24، 38، 40، 45.

24) انظر القطعتين 4 و 45.

25) انظر القطعتين 5 و 20. - 26) انظر القطع 4، 8، 15، 21.

شعرية قديمة (27).

تكلّ هذه الظواهر اللفظية تحلّي الشعر وتدخل على بنائه الداخلي حركية تبرز مدى قدرة الشاعر على التصرف في تجربته الشعرية التي تنم عن رصيد معرفي تقليدي وقدرة على توظيفه.

د- صور الإبداع الشعري في المدونة :

حرص ابن وهبون على أن تكون اللغة عنده مجسمة في ألفاظها، ذات وظيفة شعرية مؤثرة في السامع، فأرادها في جملتها سهلة ميسورة لا تخلو من تفخيم وتجسيم معنوي يحملها تصورات وخيالاً إبداعيا (28) يضفي على اللفظ مسحة شاعرية، وعلى المقطوعة تناسقا يقيم علاقة بين أجزائها، فتصبح سبيكة واحدة موحّدة البنية، وقد يستعين من حين لآخر بالحوار الشّعري (29).

فالصورة الشعرية عند ابن وهبون ليست غاية في حد ذاتها، وإنما هي وسيلة تعبيرية في خدمة الفكرة إذا انعدم التناسق بينهما تصبح الصورة زخرفا بدون إطار، ويصبح الشاعر مجرد صانع ماهر يولّد الصور بدون أن يؤثر في سامعه، ويستحيل لفظه جسما بلا روح.

فهل كانت اللغة في مدونة ابن وهبون بمواصفاتها وخصائصها التي عددناها مُسخّرة لخدمة ذاتها، أو أنها لخدمة موضوع آخر ؟ وهل يمكن أن نفصل بين مبنى المدونة ومعناها ؟ وهل أن ما عمدنا إليه من فصل بينهما كان فعلا لغاية منهجيّة أو لغرض آخر ؟

4- أغراض المدونة ومعانيها:

ليس الشعر كتلة مفردة مهما كانت قادرة على استيعاب كل الخصائص الفنية والصور الإبداعية التي يجنح إليها الشاعرليحلى بها إبداعه الفني ولغته الشعرية، بل هو جماع أحاسيس ومشاعر وأفكار يصوغها الشاعر في قوالب فنية يستعين عليها بثقافته وتخيلاته ومعاناته.

فالمتأمل في أخبار ابن وهبون وخصائص مبنى شعره، يلاحظ أمرين سنبحث عن مدى حضورهما وتأثيرهما في أغراض شعره ومعانيه، وهما الطموح في الاتصال بذوي الجاه والسلطان والنهل من رصيد معرفي تراثي، حاول الشاعر أن يوظفهما في خدمة أفكاره ومعاني أشعاره فكانت المدونة حافلة بأغراض ومعان تقليدية هي المديح والغزل والوصف والرثاء والفخر والذم وقلة الوفاء.

---

27) انظر القطعة 45.

28) انظر على سبيل المثال لا الحصر القطع : 22، 26، 35، 39، 45.

29) انظر القطعة 30.

فما هي خصائص هذه الأغراض والمعاني وأبعادها في شعر ابن وهبون ؟ وما هي منزلته بين شعراء عصره ؟ وما هو موقف القدامى والمحدثين من شعره ؟ وما هي مواطن الطرافة في معاني شعره؟ سنتوخى منهج الترتيب حسب الجداول اعتمادا على أوفر الأغراض والمعاني أبياتا ونسبة مائويّة، فيكون الترتيب عندئذ على النحو التالي :

الممدوح	عدد القطع	رقمها	مجموع الأبيات	النسبة
1- ابن عباد	13	3، 8، 12، 16، 19، 20، 26، 38، 39، 40، 41، 45، 47.	276	،
2- الرشيد بن عباد	1	21	18	
3- ابن عمار	1	4	17	
3	15	15	311	٪ 67.7

نلاحظ أن مدائح ابن وهبون لم تخرج عن أعلام السّلطة في إشبيلية، بل كانت في علمين من الأسرة الحاكمة وفي آخر من وزرائها المقربين. فهي إذن مدائح رسمية . فهل التزم فيه منهج المدحية القديم أو خلصها منه ؟ وما هي مقومات معانيها ؟

- المنهج :

حاول ابن قتيبة من خلال استقرائه لمدائح شعراء الجاهلية والإسلام أن يحدد ملامحها ونهجها في "ذكر الديار والدمن والآثار والنسيب وإنضاء الراحلة والبعير والمديح " [30] ورأى أن "الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدّل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحدا منها أغلب على الشعر ولم يطل فيملّ السامعين ولم يقطع وبالنفوس ظمأ إلى المزيد" [31].

إن المتأمل في مدحيات ابن وهبون يلاحظ كثرة عدد قطعها وأبياتها ونسبة تواترها بالنسبة إلى مجموع شعره، كما يلاحظ عدم التزامها بنهج معين كالذي درج عليه شعراء

(30) ابن قتيبة : الشعر I ، 20 - 21.

(31) ابن قتيبة : الشعر I ، 21.

الجاهلية والإسلام، بل جاءت المدحية في مدونته متعددة المطالع والموضوعات، فأحيانا يتخلص من المنهج الذي أقره ابن قتيبة ويثب على المدح وثبا[32]، وأحيانا يذمّ الدهر ويشكو الحال[33]، وطورا يتشوق[34]، وتارة يتغزل ويشكو[35]، وأحيانا أخرى يصف[36] ويصور الرحلة[37] على مستوى الشعور ويناجي ويصغر من نفسه[38]، وكان مديحه كله قصائد ما عدا قطع قصار[39] لعلها كانت مطالع لقصائد لم تذكرها المصادر التي اعتمدناها في البحث.

- المعـاني :

لا شك أن المديح أقرب أغراض الشعر إلى السياسة وأوثقه صلة بها وبأصحابها، يتقرب به الشعراء المادحون إليهم زلفى طمعا في الشهرة والمال؛ اعتمادا على قاموس مدحي ينتقون معانيه التي يرونها قريبة من نفوس ممدوحيهم ولائطة بقلوبهم. فهل سار ابن وهبون في مديحه على نهج القدامى أو جدّد فيه ؟

حاولنا استقراء جدول المديح فوقفنا على مظهرين من المعاني.

- **مظهر تقليدي** : ويشتمل هذا المظهر على القيم الأخلاقية والروحية من جود وعطاء وفضل وحلم ورحمة وصدق وأمانة وتحالف وتناصر ودفاع عن الدين وتقوى. كما يشتمل على مواصفات يتميز بها الممدوح عن سواه ممثلة في رجاحة العقل وحسن التدبير. ولم تخل هذه المعاني من مظاهر بدوية موروثة ألح عليها الشاعر وعددها كالتذكير بأصالة النسب وعراقته وشرفه والإقدام والبطش والفروسية وركوب الخيل والبسالة والثبات في المعركة والتمرس بالحرب والمغامرة والاستهانة بالموت.

- **مظهر تجديدي** : فرضته بيئة أندلسية عاش فيها الشاعر فخلّد جواز ابن عباد البحر يستنجد بحليفه ابن تاشفين على النصارى لير د زحفهم على إشبيلية حفاظا على ملكه وعلى معالمها الحضارية والدينية المهددة.

ولعل الطريف في هذا المظهر مشاركة ابن وهبون ابن عباد حروبه ضد النصارى، وذكر

---

32) انظر القطع 3، 26، 45، 47.
33) انظر القطع 4، 8، 20، 38، 41.
34) انظر القطعة 12.
35) انظر القطعة 21.
36) انظر القطعتين 4 و16.
37) انظر القطعة 39.
38) انظر القطعة 19.
39) انظر القطع 12، 16، 41، 47.

وقائعها وتسجيل أحداثها وتوظيفه بعض أشعاره[40] انتصارا لعروبته وإسلامه ونصرة وليّ نعمته. وهذا ما لا نجده عند بعض معاصريه من الشعراء، كابن خفاجة مثلا.

وهكذا نلاحظ أن ابن وهبون حرص في بعض قصائده المدحية على أن يكون تقليديا في المعاني، شأنه في ذلك شأن المتنبي في مدحه سيف الدولة[41] . كما كان حريصا على التجديد في بعضها الآخر استجابة لطابع العصر وبيئة الأندلس.

ومهما حاولنا أن نتقصّى معاني مديحه فإن استنتاجاتنا تبقى منقوصة، لأن مجموع أشعاره يبقى أيضا مبتورا بدليل أن البائية في مدح ابن عباد التي أولاه أمرها أستاذه الأعلم " ليست لاحقة بعيون شعره"[42] ، وأن المطولة التي بلغت تسعين بيتا[43] لم نعثر عليها في مصادر البحث وهي أيضا في مدح ابن عباد.

ب- الرثـــاء

المرثـــي	عدد القطع	رقمهـــا	مجموع الأبيات	النسبة
1- الأعلم الشنتمري	1	1	49	
2- صديق من الكتاب	1	10	5	
3- خادم بن عباد	1	34	1	
4- ابن عمار	1	43	1	
4	4	4	56	٪ 12.2

حظي الرثاء، على قلة مقطوعاته بالمرتبة الثانية في مدونة ابن وهبون. وهو غرض شعري قديم لا يقل شأنا عن المديح، خصّ به الشاعر مجموعة ممن تربطه بهم صلة سواء، أكانت هذه الصلة صلة تتلمذ وعلم ومعرفة أم صلة صداقة ومودة وفضل.

وفي هذا الغرض نجد قصيدة واحدة رثى بها أستاذه الأعلم وقطعة في صديق له من الكتاب وبيتين : الأولى في خادم ابن عباد، والثانية في الوزير ابن عمار لما قتله المعتمد

(40) انظر القطع 26، 38، 39، 45.

(41) انظر على سبيل المثال لا الحصر الديوان، 263-267.

(42) ابن بسام : الذخيرة ق II م 1 ، 475.

(43) ياقوت : البلدان I ، 518.

بيده قالبا ابن وهبون في مرارة وتقية مخافة أن يتفطن إلى ذلك ابن عباد فيبطش به. ولم يخرج ابن وهبون في مراثيه عن سنة القدماء، بل جاراهم فطفق يعدد خصال المرثي ومناقبه في لوعة وتفجع مبرزا عجز الإنسان أمام مصيره، مذكرا بحتمية الموت وبضرورة الاعتبار، طالبا للميت الغفران، مبيّنا فضائله وعلومه وأعماله الجليلة وصفاته الأخلاقية، فكانت مراثيهُ لوحاتٍ فنيةٍ رسم فيها أحزانه وتفجعاته الذاتية ، كما تجلى فيها مخزونه المعرفي الفلسفي في رثائه أستاذه الأعلم خاصة، مما حدا بابن بسام إلى اعتبار ذلك هذيانا ابتدعه المحدثون فقال " وهذا معنى فلسفي قلّما عرج عليه عربي وإنما فزع إليه المحدثون من الشعراء حين ضاق عليهم منهج الصواب وعدموا رونق كلام الإعراب فاستراحوا إلى الهذيان استراح الجبان إلى تنقص أقرانه واستجادة سيفه وسنانه" [44] وأجَازهُ لابن وهبون لأنه "نفخ فيه روحا وسلك به مسلكا مليحا وولّد له إحسانا صريحا"[45].

ولئن كانت مرثيتهُ في أستاذه محصّلة لتصورات أبي العلاء المعري وآرائه في الحياة والموت، ورأي المتنبي وبعض الحكماء في الروح ومصيرها، فإنه قد فتح لهذا الموضوع بِكْر السبيل في الشعر الأندلسي.

وهو في هذا الغرض الشعري يختلف عن صديقه ابن خفاجة منهجا ومضمونا، ذلك أنه كان يستهلّ بعض مراثيه[46] بالغزل، ويطنب في ذكر الصور البدوية كما كان يختم بعضها الآخر [47] بالمديح.

ج- الغـــــزل :

المتغزل به	عدد القطع	رقمهـــــا	مجموع الأبيات	النسبة
1- غلام	13	6، 11، 15، 17، 18، 23، 29، 30، 31، 33، 35، 37، 44.	38	
1	13	13	38	%8.3

44) ابن بسام : الذخيرة II م I ، 480.

45) ابن بسام : المصدر نفسه، 486.

46) ابن خفاجة : الديوان 95.

47) ابن خفاجة : المصدر نفسه 198.

الغزل غرض شعري قديم اهتم به الشعراء اهتمامهم ببقية الأغراض الأخرى، وقصروه في أول أمرهم على المرأة. فوصفوا العيون النَرجسية المِراض والخدود الوردية والشفاه العسلية والأسنان الأقحوانية والشعر الفاحم الطويل والصدر الكاعب الناهد والقد النحيل والردف الثقيل والقامة الرشيقة. وبقيت هذه الأوصاف الحسية متداولة وتوارثها عنهم الشعراء الغزليون من بعدهم . فما هي سمات غزل ابن وهبون وما هو حظه من هذا الغرض ؟

إن المتأمل في هذا الجدول المستخرج من مدونته يلحظ في غزله أحد أمرين :يختص الأول بالمبنى والثاني بالمعنى. فمن جهة المبنى نشير إلى أن السِّمَة الطاغية على غزله هي سمة المقطوعة : فهي إمّا بيت يتيم[48] وإما نُتفة[49] وإما قطعة[50]. وأما من جهة المعنىُ فإن ابن وهبون خرج عن المألوف في هذا الغرض، فكان المتغزل به المذكر لا المؤنث . فهل اختلفت معاني الغزل بالمذكر وصوره عند ابن وهبون عن معاني الغزل بالمؤنث وصوره ؟

من خلال استقرائنا لهذا الغرض في المدونة الذي بدا ضئيلا، إذ لا تتجاوز أبياته 38 بيتا على وفرة قطعه التي بلغت 13 قطعة، نلاحظ أن الشاعر ركز غزله على جملة من المظاهر، منها الحسية المرئية كجمال العيون وسحرها وحورها ونحافة القد وجمال العذار واستدارة الخدود، ومنها ما تعلق بالمتعة والتجربة الحسية كالقبلة ورشف الرضاب والتفاف الساق بالساق وقضا، اللبانة والوطر أو إدامة النظر في المحبوب، ومنها ما اختص بالمعاناة كالسهر وكثرة الوجد والصدّ والهجر والحرقة والدمع . ويذهب به الأمر إلى حد الإغراق في الصورة الشعرية فتأتي ف حشمة لا يستصيغها الذوق الأخلاقي[51] ولا الجمالي الفني، مما حد. ا ن بسام مراعاة للذوق الأخلاقي في مجتمعه إلى القول " وما أقبح ما أنشدت ... لعبد الجليل"[52]

ولم يشذ ابن وهبون عن شعراء البيئة الأندلسيّة في ا. . ر الصورة الشعرية، إذ عمد إلى الطبيعة يستمد منها صورهُ ليوظفها في أشعا ه، وكذلا لى الخمرة يتكئ عليها في تشابيهه ويعتمدها في مجالس أنسه وشرابه مع غلمانه.

فكانت هذه المقطوعات ترسم إطارا فنيا رائعا يخرج بالغزل عن المألوف. ولكنّ صيحات الاستنكار تعالت رافضة هذا النوع من الغزل، وحرّمت على الشاعر الانفراد بالغلمان إذ " أن الانفراد بهم كالتعليه محجورا، وكان من أجلهم ممقوتا ومهجورا، فإنه اشتهر في حبهم أشد اشتهار واستظهر على كلفه بهم بالشظف والاقتار"[53] . وغير غريب أن تكون صيحات التحريم

48) انظر القطعتين : 33، 35.

49) انظر القطع : 6، 11، 18، 29، 44،31.

50) انظر القطع : 15، 17، 23، 37.

51) انظر القطعتين: 29، 37.

52) ابن بسام : الذخيرة ق II م 1، 144.

53) ابن خاقان : القلائد 280.

وسيطرة الذوق الانطباعي والأخلاقي على الذين ترجموا لابن وهبون ودونوا بعض أشعاره تديما سببا في ضياع جزء هام من هذه الأشعار.

ولهذا الانتراض ما يبرره، فنحن إن نظرنا في هذه المقطوعات في المدونة وتتبعنا تخريجها، نلاحظ أن ابن خاقان أورد 4 قطع [54] وابن بسام 5 قطع [55] والإصفهاني 3 قطع [56]، وهو عادة ينقل عن ابن بسام، وابن شاكر قطعة واحدة [57] بدون أن يذكر مصدره. وكنا أشرنا إلى أنها لم تبلغ القصيدة إذ تراوحت أبياتها بين البيت اليتيم وستة أبيات. كما أشرنا إلى أن ابن خاقان وابن بسام كانا يتزعمان صيحات الاستنكار وينفران من هذا النوع من الغزل ويستنكفان منه ويقبّحانه اعتمادا على ذوق شخصي واتجاه فكري سلوكي. أليس الذوق الشخصي والاتجاه الفكري في هذه الحال جناية على شعر ابن وهبون أو على الأقلّ على جزء منه ؟

ولا نخال أن ابن وهبون كان يعتزم التمرد على الذوق الأخلاقي في بيئته ، وإنما كان يروم التجديد والتفنن في هذا الغرض. ولا يعنينا كثيرا إن كان حقا عاش تجربة اللذة والحس مع الغلمان أم عاشها على مستوى الشعور والخيال، فحسبنا من أمره إبداعه الفني الذي نجد أثره واضحًا في شعر من جاء بعده من الشعراء. [58]

د- الوصـــف :

الموصوف	عدد القطع	رقمهـــــا	مجموع الأبيات	النسبة
1- البزاة	1	2	2	
2- مشهد	1	5	4	
3- بركة	1	13	3	
4- المجمرة	1	14	1	
5- شمعتان	1	22	2	
6- فرن	1	24	2	
7- حرشف	1	25	2	
8- البحر	1	27	4	
9- جارية	1	32	1	
10- الأسطرلاب الإشبيلي	1	36	9	
11- هلال شوال	1	42	2	
12- قينة	1	46	1	
12	12	12	34	٪ 7،4

54) انظر القطع 11، 17، 23، 31. - 55) انظر القطع 18، 29، 33، 35، 37.

56) انظر القطع 16، 15، 30.

57) انظر القطعة 44.

58) انظر شعر الغلمان في ديوان ابن الزقاق البلنسي وديوان الرصافي البلنسي وديوان ابن سهل الأندلسي والحوليات : العدد 19.

لقد حظي الوصف في مدونة ابن وهبون، على كثرة مقطوعاته التي كانت 12 قطعة، بالمرتبة الرابعة بعد الغزل. وقد بلغت أبياته 34 بيتا انتظمت في 3 أبيات[59] و6 نتف[60] وقطعتين[61] وقصيدة واحدة[62]. وقد خص به الشاعر الحيوان المفترس والجماد والإنسان ممثلا في المرأة الجارية أو القينة، وهو أمر يلفت الانتباه في شعره وأخباره إذ لم يرد ذكرها إلا مرتين في موطن الوصف.

ولئن بدا الوصف عند ابن وهبون غرضا قائما برأسه، فإننا نرجح أن بعض هذه المقطوعات هي مقدمات لقصائد مدحية، ذلك أن القطعة رقم 2 قيلت في حضرة ابن عباد، والقطعة رقم 27 على رأي الحميري[63] مقدمة لقصيدة مدحية وهو الوحيد الذي أخرجها، وكذلك القطعة 36 التي وصف فيها الأسطول الإشبيلي وهو رمز القوة الحربية والعسكرية في دولة بني عباد. فكيف يصفه بدون أن يتعرض إلى ابن عباد صاحب الأسطول وصاحب إشبيلية، وقد أشرنا في مديحه إلى أنه كثيرا ما كان يستهله بالوصف ؟

وتبدو موصوفات ابن وهبون مستمدة من معجم المحسوسات والملموسات ذات أبعاد ووظائف، فهي توحي بالقوة والمتعة والنور والضياء والخصب والجمال. وكل هذه العناصر نجد صداها في جمال طبيعة الأندلس الذي شغف به ابن وهبون، وأشرنا إليه حين حددنا ملامح شخصيته من خلال أخباره في الفصل الأول من البحث.

هـ - الفخـــــر :

المفتخر به	عدد القطع	رقمهــــــا	مجموع الأبيات	النسبة
نفســه	1	9	16	
1	1	9	16	٪ 3.5

59) انظر القطع 14، 32، 46.
60) انظر القطع 1، 13، 22، 24، 25، 42.
61) انظر القطعتين 5، 27.
62) انظر القطعة 36.
63) الحميري : الصفة 111.

عثرنا في المدونة على هذه القطعة الوحيدة المستقلة التي تضمنت 16 بيتا خصّ بها الشاعر نفسه. ولا يعني هذا أن بقية مقطوعاته خلت من أبيات في الفخر، فقد وجدنا ذات الشاعر المتعالية حينا والمتمردة والمتبرمة والشاكية أحيانا أخرى في مطالع بعض القطع [64]. فالفخر عند ابن وهبون لم يكن غرضا قائما بذاته، بل يبدو أنه عنده وليد انفعالات وحالات قلق عاشها الشاعر خلال مسيرته المدحية وعلاقاته بالناس فأثرى تجربته الحياتية، وكان موقفه من الدنيا والناس لا يخلو من نقمة وتشاؤم واعتداد بالنفس في مجتمع بدأت قيمهُ تنحل وتنهار. فطفق ابن وهبون يعدد خصاله ومآثره مبرزا تفرده وتميزه عن الآخرين، فكان حظ الأنا الشعري في مدونته مكثفا حملّه جملة من معاني الفخر التقليدية ذات النزعة الحكمية التأملية الفلسفية التي نجدها عند شعراء الجاهلية والإسلام.

كان فخر ابن وهبون محصّلة لعامل ذاتي تمثل في علاقته بأفراد مجتمعه وفي عجب بنفسه لم يجد فوقه من مزيد، ولعامل موضوعي تجلى في نهله من زاد معرفي تقليدي ينمّ عن تأثر واضح بحكميات المتنبي وآراء المعري في ذاته والناس والدنيا.

فلا غرابة إذن أن يضفي الشاعر على نفسه صفات المجد والفضل، فهو الذي خبر الدنيا وجرّب الناس فوجد النفاق والغدر والكذب فيهم ظاهرا متفشيا، فكفر بقيمهم التي بدت له خالية من صدق الكلمة والتجربة والموقف. فرجع إلى نفسه وقد عنتها الزمان وأدبها يبحث له فيها عن صورة مثالية تخالف ما رآه عند الآخرين ناشئا، فكان صاحب العلم والمعرفة والأدب، ورجل الحرب والشجاعة والبطولة. وهو من خلال هذه الصورة التي رسمها لنفسه لا يقلّ شأنا عن ممدوحه ولكن الناس كانوا يجهلون.

ولعل إحساس الشاعر بانعدام التواصل بينه وبين الآخرين، ووعيه بخصول ذكره أحيانا هما اللذان أضفيا على أبياته الفخرية ضربًا من الشكوى حينا، ومن التعالي والعجب أحيانا أخرى حسب ما يعتريه من حالات نفسية مضطربة هي في شبابه غيرها وقد بدأت السن تتقدم به وإشبيلية بيت شرفه وعيشه قد بدأت بعض الفتن تشتدُ بها وتهدد كيانها وأمنها.

---

64) انظر القطع 4، 8، 20، 38.

و- الذمّ وقلّة الوفاء :

	عدد القطع	رقمها	مجموع الأبيات	النسبة
1- غلام 2- الإنسان عامة	1 1	7 28	3 1	٪
2	2	2	4	٪ 0.9

تبدو نسبة الذم في شعر ابن وهبون ضئيلة جدا، إذ مثلت أقل من واحد بالمائة من مجموع أشعاره، فحظي غلام ذو دلّ وتمنع بثلاثة أبيات ضمنها الشاعر فرط إعجابه وهيامه به، لأنه أذكى فيه نار الوصل وقصر عن ذلك. فالتجأ الشاعر إلى الله يدعوه لينتقم له منه، لأنه أحس بالظلم فلم يجد من معين على تخليصه منه سوى الله العادل الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه. فابن وهبون أضفى على هذه القطعة مسحة قضائية فقهية ممثلة في لغة المقطوعة ومعانيها، وحظي الإنسان عامة ببيت واحد تراءى فيه موقف الشاعر المتشائم من الإنسان الغادر الذي لا يستقر على حال شأنه شأن أمه الدنيا.

ولهذا المعنى جذور في التراث الشعري العربي، وخاصة عند المتنبي والمعري اللذين بدا ابن وهبون متأثرا بهما، يترسم آراءهما في الذات الفرد والناس والدنيا وموقفهما منها.

ج- شاعرية ابن وهبون من خلال مبنى المدوّنة ومعانيها :

تعمدنا في بداية الدراسة الفصل بين مبنى المدونة ومعانيها، وأشرنا إلى أن ذلك استجابة لضرورة منهجية قد تساعدنا على النظر في أشعار ابن وهبون بأكثر دقة. فهل تم لنا ذلك ؟ وهل هدانا الفصل بين المبنى والمعنى إلى تلمس سبيل التكامل والتلاحم بينهما ؟

لاحظنا ونحن نمارس أشعار ابن وهبون أن الطريق إلى الوصول إلى المعاني في قدرتنا على معرفة خصائص المبنى بكل مقوماته اللفظية والعروضية والبلاغية والموسيقية والإبداعية التخييلية. فلما تم لنا ذلك بدأت بعض ملامح شخصية الشاعر الفنية الإبداعية تلوح شيئا فشيئا على مستوى اختيار ألفاظه وانتقاء بحوره وقوافيه وصوره وتضميناته ومحسناته البديعية. فكان في جملتها الشاعر المقلد الذي تمثل أساليب المتقدمين في نظم الشعر، وفي جزء منها مجددا استجابة لما تمليه عليه بيئة الشعر في الأندلس، لا سيما فيما يتعلق بالصور الشعرية سواء أكانت طبيعية أم حضارية.

ثم وجهنا غايتنا إلى الأغراض والمعاني فوجدناها تستجيب في انصياع تام إلى خصائص المبني ولا تخرج عنها باعتبارها روحا في حاجة إلى جسم يحملها ويتسع لها، وقد حاول ابن وهبون أن يحمّل المبنى الذي اختاره لأشعاره ما وسعه من أغراض ومعان لا تخلو هي أيضا في جانب كبير منها من تقليد واتباع لسابقيه من الشعراء.

وقد بدا جانب الاتباع واضحا في أشعاره المدحية والرثائية والفخرية. فكان يصدر فيها عن مخزون ثقافي موروث ينم عن معرفة شمولية بمعاني الشعر القديم وعن ذاكرة وسعت الشعر والقرآن والأمثال وأقوال بعض الحكماء، حفظا، حرص على أن يضعها مواضعها في أشعاره وحاول أن يتلمس لأشعاره طريق الإبداع والتجديد في مقطوعاته الوصفية والغزلية. فكانت عناصر الطبيعة موظفة فيهما مساعدة له على حمل صوره الإبداعية ومعانيها، كما استغل بعض الصور الحضارية فذكرها في شعره فكان الأسطول الإشبيلي حاضرا في مدونته. وكان للغلمان حظ في مقطوعاته مما يدل على انتشار هذه الظاهرة في البيئة الإشبيلية آنذاك، وعلى تحرره من القيود الاجتماعية الأخلاقية وسيطرة أخلاق الشعر لا المجتمع عليه.

وكان ابن وهبون في مدونته يتنازعه قطبان قطب الاتباع الواعي وقطب الإبداع الملائم لخصوصيات الشعر العربي في البيئة الأندلسية. ولكنه كان إلى الاتباع والتقليد أميل بحكم مصادر ثقافية وروافدها التقليدية التي طبعت مبنى مدونته وأغراضها ومعانيها، فكانت العلاقة بين المبني وبين المعنى متينة بعضها آخذ برقاب بعض في تلاؤم حتى لا اختلاف بينهما. فهو كما يرى بعضهم "كان حسن الشعر لطيف المأخذ حسن التوصل إلى دقيق المعاني" (65). فأيّ المعاني شغلت ابن وهبون وحدّدت منزلته وشاعريته في المدونة أكثر من سواها ؟

يبدو المديح أكثر الأغراض التي شغلت الشاعر في إشبيلية التي رحل إليها بطلب الشهرة لإرضاء طموحه، فوجد في ابن عباد الجود والعطاء والشغف بالشعر والشعراء، فقصر مديحه عليه ما عدا مقطوعتين الأولى في وزيره ابن عمار، والثانية في ابنه الرشيد. وإن لم يخل مديحه من وصف وشكوى وافتخار يدل على اعتداد بالنفس وعُجْب بها لم يستطيع أن يتخلص منهما في حضرة ولي نعمته. فهل كان للمديح عند ابن وهبون وظيفة ؟

لا يرفض ابن وهبون العطايا والهبات والراتب الشهري باعتبارها وسائل عيش. ولكنه يرفض ظاهرة التكسب بالشعر لغاية جمع المال. بل يرى للشعر وظيفة أسمى من ذلك قوامها الإخلاص للممدوح، وتسجيل خصاله ومآثره ومفاخره التي يمكن أن تندثر وتضيع إن لم يحفظها شعر المادح، وعلى الممدوح رعاية شاعره وإكرامه (66).

65) المراكشي : المعجب 102.

66) انظر القطعة 19.

ولعل ما يميز حرص ابن وهبون على هذه الوظيفة عن معاصريه من الشعراء، ويحدد منزلته بينهم ذكر مفاخر ابن عباد الحربية في شعره ومشاركته له فيها [67] حتى عرف بقصيدته عن وقعة الزلاقة التي انتصر فيها المسلمون على النصارى. فكان مديحهُ وثيقة تاريخية زمن اشتداد الفتنة بالمعتمد بن عباد في إشبيلية في أواخر حكمه.

وهكذا تتكامل ملامح شخصية ابن وهبون "الإنسان" كما حددناها في الفصل الأول من هذا البحث مع ملامح شخصيته باعتباره شاعرا مداحا مفتخرا بنفسه إلى حد الاعتداد، وفيا لقضايا وطنه وصحبه لتجعل منه صاحب رأي في الشعر والحياة والوجود وعلما من أعلام المدرسة المغربية في الشعر الذين تمثلوا ثقافة المشرق العربي وساهموا في بلورة ثقافة المغرب الأندلسي فتأثروا وأثروا فكان بحق " أحد الفحول البري، من المطروق والمنحول. [68] و"شمس الزمان وبدره وسر الإحسان وجهره ومستودع البيان ومستقره وآخر من أفرغ في وقتنا فنون المقال في قوالب السحر الحلال وقيّد شوارد الألباب بأرق من ملح العتاب" [69] . فعسى أن تكون هذه الدراسة المتواضعة قد ألمت ببعض جوانب شعر عبد الجليل بن وهبون وبعض ملامح شخصيته. وهي جوانب نرى أنها ما تزال في حاجة إلى مزيد الدرس والتعمق لأن فيها من الطرافة ما لا يقل شأنا عما هو في شعر المعتمد بن عباد وابن حمديس وابن خفاجة، بدليل أن بعض الدارسين المعاصرين [70] أفردوا له بعض الفصول حين تناولوا بالدرس أدب الأندلس وبلاغته. وقد ذهب الأمر بأحدهم [71] إلى أن أفرد له دراسة خاصة لم تأت في نظرنا على كل جوانب شعره.

(يتبــع)

67) انظر القطع 26، 38، 45.

68) ابن خاقان : القلائد 278.

69) ابن بسام : الذخيرة ق II م ; I، 473-474.

70) انظر مثلا : فروخ : أدب IV. 663 - 665 وضيف : البلاغة 121 - 128 والسعيد : الشعر 301 - 313.

71) خالص : مجلة 12، 532 - 557.

شموس غابت ولكنّها دائما تنير

بقلم أ. أحمد الحمروني

تونس

1- إيميليو غرثيا قومات (1905 - 1995)

علم الاستشراق الإسباني :

ولد إيميليو غرثيا قومات (Emilio GARCIA GOMEZ) في 4 / 6 / 1905 بمدريد. وبعد حصوله على الإجازة في الفلسفة من جامعة مدريد انكبّ على إعداد رسالة حول قصة حي ابن يقظان لابن طفيل نال بها الدكتوراه سنة 1926. وبها انتدبته جامعة مدريد أستاذا مساعدا في نفس السنة. ثمّ عيّن في سنة 1930 أستاذا للّغة العربية بجامعة غرناطة، وسعى إلى تأسيس معهد الدراسات العربية بها سنة 1932 وإدارته منذ 1935. وفي هذه السنة ارتقى إلى رتبة أستاذ اللغة العربية بجامعة مدريد. وتولّى مع ذلك التدريس بمعهد الدراسات العربية بها حيث كثّف جهوده بعد الحرب الأهلية (1936-1939). وإثر وفاة ميقال آسين بالاثيوس سنة 1944 خلفه مديرا مساعدا للمعهد المذكور إلى أن أصبح مديرا له منذ 17 / 12 / 1949 تاريخ وفاة المدير السابق أنخال قونزالس بلنسيا.

والأستاذ غرثيا قومات هو مؤسس ومدير لمجلة "الأندلس" (AL-ANDALUS) (بالإسبانية) منذ سنة 1933 مع ميقال آسين قبل توليه الإشراف عليها بمفرده من تاريخ وفاة زميله سنة 1944 إلى سنة 1978. وهو في نفس الوقت عضو بهيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية منذ سنة 1949.

قام بعدة رحلات علمية ومثّل جامعة غرناطة في عديد المؤتمرات الدولية منذ سنة 1933 إلى غاية تقاعده سنة 1975. وألقى عشرات المحاضرات إلى جانب دروسه الجامعية وإشرافه على أكثر من 25 رسالة دكتوراه دولة لطلبة إسبان وأجانب أغلبهم مصريون.

واعترافا بنبوغه العلمي بادرت الأكاديمية الملكية الإسبانية بتكريمه سنة 1930 وأسندت إليه العضوية بها سنة 1945 إلى أن تولّى إدارتها، وكانت الأكاديميّة الملكيّة للتاريخ قد اختارته عضوا بها منذ سنة 1943 فمديرا لها منذ 1988. ورفعته شهرته العالمية إلى العضوية بالمجمع العربي بدمشق والمعهد الدولي للعلوم السياسيّة والاجتماعيّة منذ 1950، والمعهد المصري بمدريد،

والمجمع المصري بالقاهرة منذ 1952، والجمعية الإسبانيّة بأمريكا (نيويورك) منذ 1953، والمجمع العراقي منذ 1954. وهو مؤسس ومدير المعهد الإسباني العربي للثقافة بمدريد منذ نفس السنة، وعضو لجنة خبراء اليونسكو منذ 1955، ورئيس الاتحاد الدولي للمستشرقين سنة 1957، ورئيس مساعد للمجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانيّة في نفس السنة، ورئيس مساعد لأكاديمية رومة سنة 1958، وأستاذ شرفي بأكاديمية اللغة ببوقوتا (كولمبيا) سنة 1960، وعضو الأكاديمية الملكية المغربية بمراكش منذ تأسيسها سنة 1981، وكذلك بالمجمع التونسي (بيت الحكمة) منذ 1982، وأستاذ شرفي بأكاديمية الآداب الجميلة بإشبيلية منذ سنة 1985، وكذلك بأكاديمية الفنون الجميلة بغرناطة ومثيلتها بقرطبة.

وتقديرا لجهوده، العلميّة أسندت إليه الدكتوراه الفخرية من عديد الجامعات: من بوردو والقاهرة سنة 1950، والجزائر سنة 1952، وغرناطة سنة 1975، وقرطبة سنة 1983، وإشبيلية سنة 1984.

كما قُلّد عديد الأوسمة، منها الصنف الأكبر من وسام الاستحقاق المدني الإسباني سنة 1949، والصنف الأكبر من وسام ألفونصو العاشر المعروف بالعالم سنة 1993. وأهديت له جائزة أسطورياس (مقاطعة بأقصى شمال إسبانيا) سنة 1992، وميدالية غرناطة الذهبية سنة 1994، وأخرى شرفية من مؤسسة رودريقاز أكوستا هذا إلى جانب أوسمة أخرى تقلّد إياها تتويجا لمهامه الديبلوماسية في بلدان إسلامية بصفته سفيرا لإسبانيا في العراق والأردن ولبنان منذ 1958، وأفغانستان منذ 1960، وتركيا من 1962 إلى 1969.

كان الأستاذ قرماث موفّقا بين عديد المهام، مثابرا على مختلف الأعمال بشهادة تراثه الفكري الغزير طوال تسعين سنة إلى يوم وفاته في 31 / 5 / 1995 بمدريد. وقد دفن، كما أوصى بجوار الحمراء بغرناطة التي أحبّها فانتسب إليها حيّا وثوى بها ميّتا.

سطع نجم إميليو غرثيا قرماث في عالم الاستشراق مبكّرا، منذ نشر أطروحته سنة 1927 ونشر ترجمة لمخطوط عربي حول أسطورة الإسكندر المعروفة لدى الموريسكيين في ق 9 هـ / 15م في سنة 1929. ومنذ 1948 تعامل مع كبار المستشرقين أمثال ليفي بروفنصال فترجم كتابه: تاريخ إسبانيا الإسلاميّة إلى اللغة الإسبانيّة بداية من سنة 1950، ونشرا معًا أخبار عبد الرحمان الناصر لمؤلف مجهول، ومعلومات جديدة عن معركة الزلاقة في نفس السنة، ومذكرات الأمير عبد الله ملك غرناطة، ونصوصا من المقتبس لابن حيّان سنة 1954 ... الخ. ويعدّ كتاب قرثيا قوماث : مختارات من الأدب العربي للمبتدئين منذ صدوره سنة 1944 إلى اليوم مرجعا أساسيا للمتعلّمين.

كما نعتبر جهوده العلمية قيّمة ومفيدة للمختصّين في التاريخ الإسلامي والأدب العربي

في الأندلس، فقد حقق وترجم عدة نصوص أشهرها : طوق الحمامة لابن حزم سنة 1952، وديوان ابن قزمان سنة 1972، وكتاب : رايات المبرّزين لابن سعيد المغربي سنة 1942، و"الأيام" لطه حسين سنة 1954، و"يوميات نائب في الأرياف" لتوفيق الحكيم سنة 1955. واهتم بقصر الحمراء، ودرس نقائشه الشعرية سنة 1966. وحاضر مطولا عن ابن زمرك سنة 1943، وكتب عن ابن سهل سنة 1984. واعتنى بالأمثال وبالشعراء والوشّاحين مركزا على الخرجة في الموشحات وأصولها، منذ سنة 1934، من خلال عدة مقالات.

وبالجملة فقد نشر حوالي 350 عملا ما بين كتب مفردة أو مشتركة وفصول أغلبها في مجلة "الأندلس" تناول فيها: الشعر والنثر العربيين الأندلسيين القديمين (30 عملا)، ابن حزم (9)، الخرجات والموشحات (29)، أزجال ابن قزمان (17)، الشعر والنثر الشرقيين بالفصحى والعامية(8)، تاريخ الأندلس (22)، الحسبة (2)، الآثار (7)، النقائش (2)، العلوم خاصة الفلاحة العربية والأندلسية (2)، الأمثال العربية والإسبانية(9)، الأدب المقارن (10)، الجمالية الإسلامية (5)، ترجمات من الأدب العربي الحديث (2)، المعجمية (6)، المنتخبات (1)، الأدب بأنواعه (20)،تقديم الكتب (8)،مساهمات تكريمية (18)،خطب مجمعية (12)، عرض الكتب (126). ونشر مئات المقالات الصحفية خاصة في جريدة (ABC) منذ 1946.

وفيما يلي بيبليوغرافيا تكميلية لما نشره خواكين فالفي في مجلة (AL-QANTARA) في عيد ميلاده الثمانين سنة 1985.

بيبليوغرافيا تكميلية :

* الشعر والنثر العربيين الأندلسيين القديمين :

***Poesía y prosa arábigoandaluza clásica :**

-Cuatro poemas de Ramádí sobre la separación(qasaid al-Ramádí) / in : Al Mo-tamid, Larache, n 19, Novembre 1949.

-La littérature arabe en Espagne/ in : E.I.2, T3, P. 618.

***خرجات وموشحات :** ***Jarchas y Moaxajas**

- الشعر الغنائي الأندلسي وظهور الشعر الغنائي الروماني / (ترجمة محمد العربي عبد الرزاق) في: الفكر ، ديسمبر 1962 ص 18 - 31، جانفي 1963 ص 64-69، مارس 1963 ص 56-63.

* الشعر والنثر الشرقيين بالفصحى والعامية :

*Poesía y prosa oriental, clasica y dialectal:

-El "Diario de un fiscal rural" y su lugar en la literatura arabe actual / in: Rev. Inst. Eg.Est.Isl., Madrid, vol.4, 1956, P.153- 167.

*Historía de Al-Andalus: *تاريخ الأندلس :

-Cuando los españoles conquistaron el Sudán / in : Revista de Estudios Politicos Madrid, n 10, Juillet-Août 1943, P.419-436.

-L'Espagne mauresque / in : L'Islam d'hier à aujourd'hui, Paris-Bruxelles, Bordas elsevier, 1981, P. 250-278.

-La crisis intelectual y social in al-Andalus in el siglo XII /in :Un trait d'union entre l'Orient et l'Occident...., Rabat, Académie du Royaume du Maroc, 1986,P. 41-50

*Literatura comparada: * الأدب المقارن :

- مع شعراء الأندلس والمتنبي / (ترجمة الطاهر أحمد مكي) مكتبة وهبة، القاهرة 1974.

*Varios referencias * مما كتب عنه :

-VALLVE (Joaquin):

En el-ochenta cumpleanos de don García Gomez / in : Al-Qantara, vol VI/ 1985, Fases.1/2, P.5-28.

- إميليو غارثيا غومث ودوره الاستشراقي / (حوار) في : الوحدة (باريس)ع61-62، أكتوبر -نوفمبر 1989 ص 169-175.

-CORRAL (Pedro):

En la muerte de Emilio García Gómez / in : ABC (diario de Madrid) 1/6/1995.

-SANTIAGO SIMON (Emilio):

García Gómez traduce a Ibn Hazm/ in : ABC,1/6/1995.

-ANES (Gonzalo):

Conde de los Alixares y de la Real Academia de la Historia / in :ABC, 1/6/1995.

-ANSON (Luis Maria):

Ben Quzman : "si desenvaino mi ingenio ..." / in : ABC, 1/6/1995.

-VERNET (Juan):

Escritor nato, hábil polemista, recreador / in : La Vanguardia, 2 / 6 / 1995.

-GARCIA (Rocio):

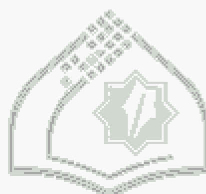
El mundo de la cultura dice adiós a un sabio / in : El Pais, 2 / 6 / 1995.

-MUNOZ MOLINA (Antonio):

Una mezcla de cortesía y atrevimiento / in :El Pais, 2/6/1995.

-GIBERT (Solidad)

Ha muerto Emilio García Gomez / in Al- quantara (Madrid), vol.XVI (1995) Fax.2, P 217-220.



II - جاك بارك (1910- 1995)

حياته:

ولد جاك بارك (Jacques BERQUE) سنة 1910 بفرندة بالجزائر حيث قضى فترة طويلة من حياته وجّهه فيها أبوه أوقيست (Auguste) إلى دراسة المجتمع المحلّي المستعمر، ثمّ انتقل إلى المغرب الأقصى حيث رشّحه حصوله على ثقافة اجتماعية وخبرة ميدانية وتكوينه لمدّة سنتين في الصربون لترقية في الإدارة الاستعمارية بصفة مراقب مدني منذ 1934. لكن مواقفه التحرّرية تسببت له في قرار تعسفي بإبعاده إلى الشاوية في الأطلس الأعلى. وفي أوت 1953 غادر المغرب محتجا على الحماية إلى مصر ولبنان. وفي سنة 1955 صدرت أطروحته " البنى الاجتماعية للأطلس الأعلى" التي بها نال شهادة دكتوراه الدولة من الصربون، وإثر انتخابه أستاذا بالمعهد الفرنسي (Collège de France) واعتلائه كرسي علم الاجتماع للإسلام المعاصر ألقى يوم 6 / 12 / 1956 الدرس الافتتاحي حول : اتجاهات الاستشراق المعاصر.

بمعاشرته المتواصلة للواقع العربي والإسلامي مغربيا ومشرقا وببحوثه الاجتماعية المتنوّعة، طوّر الدراسات الاستشراقية، وجرّدها من هدفها الاستعماري مؤسسا لمنهج عرف باسمه واستقطب عديد الأساتذة والباحثين.

لقد أوجب على الغرب النظر إلى العرب في الحاضر. وكان قدوة في التعامل المباشر مع الإنسان والواقع قبل النصوص، وتحليل الظواهر بثقافة عالم الاجتماع وعالم الأجناس، وبموضوعية تؤسس لمعرفة صحيحة وعميقة للآخر، وترسي جسور الحوار بين ضفاف المتوسط. ولا غرابة أن تؤهله رحلاته إلى الأقطار العربية وعلاقاته بشعوبها وقادتها إلى الإلمام بواقعها والتعاطف مع قضاياها والتدخل أحيانا لفضّ نزاعاتها ، يكفي أنه كان مناهضا للاستعمار مهما اختلفت أشكاله في شمال إفريقيا ومصر وفلسطين والعراق. والدارس لحياته الشخصية والإدارية والسياسية يسجل له عدة مواقف إيجابية ناصر فيها الحق وشجّع بها على التعاون والتضامن في مجالات الثقافة والتعليم والاقتصاد والسياسة والدبلوماسية. ولعلّ أوّل مصدر يساعد على معرفة شخصيته الفذّة كتابه " مذكرات العدوتين " (سوي 1989)، ويليه درسه الافتتاحي المتعلق ببرنامجه العلمي وأهدافه ووسائله وقدراته وصعوباته، دعوة منه لفرنسا إلى سياسة متفتحة على المعطيات الجديدة في البلدان المستقلة (Confluent n 19/1958; B.I.B.L.A 1957). أما ثالث مصدر يعرف به فهو الحوار الذي أجرته معه الصحفيّة اللّبنانيّة ميزاكار (عربيات 1978 - 336 ص). وخير مصدر تراثه الفكري الضخم ما بين كتب مفردة أو مشتركة ومقالات معمّقة.

والملاحظ أنّ أكبر جزء من تراثه يخص المغرب الذي تأثر ببيئته وحافظ على صلته به

رغم ابتعاده عنه. فقبل أطروحته نشر عنه :

- مساهمة في دراسة العقود المبرمة الخاصة برعاع بني مسكين (1936).

- دراسة تاريخية للبادية المغربية : طنجة وفاس (1938).

- سنتان من نشاط الصناعة التقليدية بفاس (1940).

- وثائق تاريخ المغرب الاجتماعي (1948).

- وثائق قديمة تتعلق بالعرف المعمول به في العقار عند سكساوة (1948).

- مدينة وجامعة : لمحة وجيزة عن تاريخ مدرسة فاس (1949).

- وثائق صغيرة عن تاريخ المغرب الاجتماعي (1950).

- وثائق قاض بالبادية (1950).

- حقيقة وشعر عن سكساوة (1953).

- ما هي القبيلة في إفريقيا الشمالية ؟ (1953).

- قبائل مزوغة أسلوب تاريخي لقبيلة مغربية (1955).

- المغرب بين حربين (1962) (المغرب وتونس والجزائر).

- اليوسي : مشاكل الثقافة المغربية في ق 17 م (1958).

وواضح من عناوينها أنه ركّز على حياة الناس في عاداتهم وصنائعهم وفنونهم بدواً وحضراً وخاصة قبيلة سكساوة.

كما كتب عن الثقافة في تونس والسياسة في الجزائر وغيرها. وكانت علاقته بعلال الفاسي في مستوى علاقته الروحية بالوزاني الذي ترجم معياره ودرس فيه نوازل المزارعة (1940)، وزيد بن علي الذي جمع فقهه (1941) وقدم دراسة حوله (1944)، وابن تيمية، وابن قيّم الجوزية، وابن رشد، وابن خلدون، وأدونيس، وجمال عبد الناصر، وطه حسين، وكمال جنبلاط وشعراء المقاومة الذين درسهم وترجم لهم.

ورغم أنّ إنتاجه تواصل إلى آخر حياته فإن ترجمته للقرآن (سندباد / باريس 1990) تعدّ أفضل تتويج له، خاصة بعد ما نشر :

- العرب من الأمس إلى الغد (سوي / باريس 1960 - عدّة طبعات).

- من الاستعمار إلى التحرير (مشترك، ميتوي / باريس 1965).

- قيم ومثل في الإسلام المعاصر (مشترك، بايو / باريس 1966).

- مصر : استعمار وثورة (ڤاليمار / باريس 1967).

- الفلسطينيون والأزمة الإسرائيلية العربية (مشترك، المنشورات الاجتماعية / باريس 1974).

- المغرب(الكبير) : تاريخ ومجتمعات (سناد /ديكيلو، باريس 1974).

- من الفرات إلى الأطلس (سندباد / باريس 1978) .

- المعلّقات الجاهلية : ترجمة وتقديم (سندباد / باريس 1979).

- بيبليوغرافيا الثقافة العربية المعاصرة (مشترك، سندباد / باريس 1982).

- بحث بالتعاون مع العالم الثالث (مشترك، باريس 1983).

- الإسلام ... (سندباد / باريس 1984).

بيبليوغرافيا تكميلية :

قائمة أعمال جاك بارك طويلة تفوق السبعين عنوانا. فبالنسبة إلى منشوراته من سنة 1936 إلى سنة 1986، وعلى امتداد خمسين سنة من الإنتاج، نكتفي بالإحالة على البيبليوغرافيا الزّمنية التي ساهمت بها أودات بتيت (Odette Petit) من المعهد الفرنسي (Collège de France) في مجموعة الدراسات والكتابات المهداة إلى جاك بارك بمناسبة تكريمه (Rivages et déserts:hommage à Jacques Berque,Paris,Sindbad 1989P.275 - 297),

ولذا فإنّ عملنا التكميلي يقتصر على الفترة الموالية ويتتبّع أعمال بارك من سنة 1986 إلى سنة 1995 تاريخ وفاته. ورغم ما يلاحظ في البيبليوغرافيا الأساسية من أخطاء في ضبط العناوين والإحالات المرجعية وسنوات الصدور، وفي تكرار بعض العناوين حسب تعدّد طبعاتها مفردة أو ضمن دوريات وكتب، فقد فضّلنا اتّباع نفس المنهج الزمني حتّى يتكامل عملنا مع سابقه، بإضافة ما نشره بيرك في العشرية الأخيرة من حياته، وما سقط من بيبليوغرافيا بتيت (O. Petit).

Livres:

كتـب :

1967

-French North Africa / trad. par Jean Stewart. Frederick A. Praeger Pub , New-York

1989

-Mémoires des deux rives / Paris. éd. Seuil, 287p.

1990

-Le Coran / trad. , Paris. Sindbad, 840p.

-Adonis : Le temps des villes / trad. , Paris. UNESCO, 232p.

1993

-Il reste un avenir (entretiens avec Jean Sur) / Paris, Arléa, 219 p.

-Relire le Coran / Paris, Albin Michel, 137p.

1994

-Adonis : Soleils seconds / trad. éd. Mercure de France, Paris.

Articles et autres : **مقالات وغيرها :**



1949

-Le droit du Sous / in : B.E.A., n 41, p. 8 -11.

1953

-Une exploration de Fès et quelques problèmes de morphologie urbaine musulmane / in : Bull.Ens. Publ. Mar. 40, P. 625-631.

1958

-La Cité éminente : le doublet rural-urbain, le "venu d'ailleurs" et le "venu en haut", l'ordre trifonctionnel de la cité au Maghreb / in : Les villes . E.P.H.E. 6e sec. P.50-63.

1960

-Dialogue avec Louis Massignon / in : Esprit ... et : Afrique- Action, Lundi 31 / 10/1960, P4.

1962

-Sur un motif ornemental (le polygone étoilé) / in : Mélanges Taha Husayn, p. 7-15

1963

-Orientations de la culture dans le Maghreb arabe et son avenir / (conférence donnée à Tunis, nov. 1961), trad. arabe par Mohamed Férid Ghazi, in : Al- Fikr, Mai 1963, p. 50-66.

اتجاهات الثقافة في المغرب العربي ومستقبلها.

1964

-Jacques Berque et l'homme décolonisé/ interview in : Jeune Afrique, n 166 du 27 Janvier 1964, p.25-28.

-Sur un motif ornemental / in : Mélanges C.A. Julien, 15P.

1966

-The problem of language / in : The cinema in the arab countries, Beyrouth,p.54-60.

1967

-العرب والعلوم الاجتماعية في مائة عام / في : الفكر العربي في مائة سنة، منشورات العيد المائوي، الجامعة الأمريكية في بيروت، 678 ص.

1970

-Préface à l'ouvrage de Mohamed Aziza / Regards sur le théâtre arabe contemporain.- M.T.E., Tunis .

1971

- ديالكتيكية الذات والطبيعة / في : مواقف 15 (1971) ص 49- 55.

1973

-Entretien avec J.B. à propos de son livre "Les Arabes " / in :Maghreb,56 (Mars-Avril 1973), p. 66- 73.

1978

-La base et les dimensions / Paris, Sindbad, p. 575 -594.

-Observations on new models / in : Aga Khan Award, Avril 1978, p. 23- 24.

-Préface à l'ouvrage de Marc Bergé / Les Arabes , éd. Lidis, Paris.

1981

-Les efforts d'innovation dans l'Islam moderne /in : L'Islam, la philosophie et les sciences, Paris, Presses de l'UNESCO, p. 67-84.

-Préface à l'ouvrage de Mahmoud Messadi / Le barrage, trad. par Ezzeddine Guellouze, éd. Naaman, québec.

- مقابلة مع جاك بارك / حوار أجراه عميرة الزّين في : شؤون عربية 5 (جويلية 1981) ص 216 - 226.

1985

-Dynamiques de l'Islam d'aujourd'hui / in : Hérodote, 36, 1er trim, 1985, p.49-61.

- حوار بين جاك بارك وإيف لاكوست (Eve Lacoste) / في: الفكر العربي المعاصر، 37 (ديسمبر 1985 - جانفي 1986) ص 134 - 140.

1991

-Différence, que de crimes on commet en ton nom! / in : Hommes et migrations, vol. 29, n 2 (Avril - Mai 1991), p. 83-88.

1992

- هل الرسول لاتكي ؟ / في : التبيين 5 (1992) ص 144 - 148.

-Mon journal de la crise du Golfe / in : Peuples Méditerranéens, 58 - 59 (Janvier-Juin 1992), p. 9-21.

1994

-Autour d'une traduction du Coran / in : Studia Islamica, LXXIX, 1994, p. 181 - 190.

- المفكّر والمستشرق الفرنسي جاك بارك يتحدّث عن الوضع في الجزائر / (حوار) في : الشعب 17 / 12 / 1994 ص 18.

-Reflexions sur un message / in : Hommage à Jacques Berque, Paris, (s.d.), p 58-61.

-Le système de parenté dans les sociétés musulmanes/(s.d), p.7-12.

Quelques références:

ممّا كتب عنه:



1989

-Collectif : Rivages et déserts / Paris, Sindbad .

1994

- حوراني (ألبير) : في البحث عن أندلس جديدة :جاك بارك / في : الإسلام في الفكر الأوربي، الأصلية للنشر والتوزيع، بيروت، ص 160 - 167.

1995

-ابن شقرون (محمد) : المستشرق الفرنسي جاك بارك : أضواء على حياته وشخصيته ومؤلفاته / في : العَلَم (المغرب) 7 / 7 / 1995، ص 6.

III- سعـــد غـــراب (1940 - 1995)

حيـاتــه :

ولد الأستاذ الدكتور سعد بن كيلاني بن حبيب بن الحاج محمد غراب في 18 / 12 / 1940 بغمراسن من ولاية تطاوين بالجنوب التونسي، حيث زاول تعليمه الابتدائي من سنة 1948 إلى سنة 1954 تاريخ التحاقه بالمعهد الصادقي بتونس حتى حصوله على شهادة الباكالوريا في شعبة الفلسفة سنة 1961، وبعد أربع سنوات من التعليم العالي تخرج من دار المعلمين العليا بتونس بديبلوم اللغة والآداب العربية في جوان 1965. فعيّن أستاذا مجازا للتدريس بمدرسة ترشيح المعلمين بالمستير من سنة 1965 إلى سنة 1967، وأعدّ في الأثناء ديبلوم الدراسات العليا (D.E.S.) برسالة ناقشها في ليون بفرنسا في سبتمبر 1966. ثم انتقل للتدريس بمدرسة ترشيح المعلمين بتونس من 1968 إلي 1970. وكان يعد بالتوازي دكتوراه الحلقة الثالثة في الدراسات الإسلاميّة بأطروحة ناقشها بتفوق في جوان 1970. وبتلك الشهادة التحق بسلك التعليم العالي أستاذا بمدرسة الأساتذة المساعدين بتونس من 1970 إلى 1972 تاريخ انتقاله إلى كلّية الآداب ودار المعلمين العليا بتونس بصفة مساعد إلى أن تحصل في جوان 1983 على دكتوراه الدولة من جامعة الصربون بباريس إثر مناقشة أطروحته حول : ابن عرفة والمذهب المالكي بإفريقية في القرن8 هـ / 14 م (بالفرنسيّة). فسمّي أستاذا محاضرا بنفس الكلّية، فأستاذا للتعليم العالي بها في جوان 1989.

تولّى المرحوم سعد غراب مسؤوليات جامعية وثقافية عالية، فقد سمي عميدا لكلّية الآداب بمنوبة بتونس من 19 / 11 / 1987 إلى غرة نوفمبر 1991 تاريخ تعيينه رئيسا "لبيت الحكمة" : المؤسسة الوطنيّة للترجمة والتحقيق والدراسات، التي أصبحت فيما بعد المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون في 10 / 11 / 1992. وانخرطت تونس بهذا المجمع في الاتحاد العالمي للمجامع في دورة بروكسيل في أفريل 1994، وتمتّنت صلة هذا المجمع باتحاد المجامع العربية وخاصّة مجمعي القاهرة ودمشق وأكاديمية المغرب ومعهد العالم العربي بباريس، وتعدّدت منشوراته وندواته حول الثقافة والإبداع والترجمة والتسامح والإصلاح.

وكانت جهود المرحوم سعد غراب موزّعة بين مسؤوليتيه على رأس "بيت الحكمة" وفي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو .A.L.E.C.S.O) من تاريخ انتخابه مديرا عاما مساعدا بها في ديسمبر 1993 إلى تاريخ وفاته.

وإلى جانب دروسه الجامعية وإشرافه على شهائد المرحلة الثالثة، كان له نشاط مجمعي وجمعياتي مكثف بصفته عضوا مراسلا للمجمع العلمي العربي بدمشق والاتحاد الدولي للمجامع منذ مؤتمر براغ في جوان 1995 وفريق البحث الإسلامي المسيحي (.G.R.I.C) ، وهو رئيس

مؤسس لجمعية ابن عرفة الثقافية النشيطة بتونس ومدنين ، وودادية قدماء دار المعلمين العليا منذ 1994 ، وعضو أسرة تحرير مجلة "إيبلا" (IBLA) ، ومشارك في عدّة دوريات ثقافية وعلميّة، ومحاضر في عدّة ملتقيات في الداخل والخارج.

وتقديرا لأعماله وخصاله كرّم بتقليده الصنف الرابع من وسام الجمهورية والصنف الثالث من الوسام القومي للاستحقاق التربوي والصنف الثالث من وسام الاستحقاق الثقافي. توفي إثر أزمة قلبية يوم 16 / 7 / 1995 بالدار البيضاء، بالمغرب، وهو مشارك في ندوة التّسامح ضمن فريق الحوار الإسلامي المسيحي. ونقل جثمانه إلى تونس حيث دفن بمقبرة الجلاّز يوم 19 من الشهر نفسه بعد أن أبّنه السيّد صالح البكاري وزير الثقافة والدكتور عبد القادر المهيري رئيس جامعة تونس I.

آثـــاره :

رغم قصر حياة المرحوم سعد غراب فقد خلّف إنتاجا غزيرا ومتميّزا، لأنه كان يعمل بانتظام وصبر وصمت وتواضع، متوخيا في منهجه الدقة والصرامة والصدق والصراحة، مستندا إلى النصوص، محكّما العقل، مهتديا بأمثال الغزالي وابن خلدون من أعلام الفقه الإسلامي والثقافة العربية. وقد تنوّعت أعماله ما بين محاضرات ومقالات ومساهمات في تحقيق التراث، وتركّزت على موضوع اختصاصه وهو الفكر الإسلامي في العصر الوسيط، خاصّة من خلال الفقيه التّونسي ابن عرفة الورغمّي.

لقد حاول الأستاذ سعد غراب مدّ جسور التواصل والحوار والتسامح، والتعاون على السلم والمصالحة بين الفكر العربي والفكر المسيحي، بين الثقافة العربية الإسلاميّة والثقافة الغربية المسيحية، وبين الأنا والآخر. وهكذا بدأ باحثا محقّقا وانتهى مفكّرا متفتّحا.

قدّم الدكتور سعد غراب أهّم أبحاثه لنيل شهائد جامعية، وحاضر في ملتقيات ابن عرفة بمدنين وتطاوين ويحي بن عمر بسوسة، والندوة الإسلاميّة بالقيروان، وفي إطار الجامعة وبيت الحكمة والألكسو، وجمعية الحوار الإسلامي المسيحي، وملتقى الجامعيين المصريين والتونسيين والملتقى الإسباني التونسي، وغيرها من المناسبات.

ونشر أبحاثه وتحقيقاته في مؤلفات مفردة أو في حوليات الجامعة التونسية، والكراسات التونسيّة (Les Cahiers de Tunisie)، ومجلة إسلاميّات مسيحيات (Islamochristiana) ومجلة إيبلا (IBLA)، ومجلة دراسات أندلسيّة، ومجلة الهداية، ومجلة الحياة الثقافية ومنشوراتها الخاصة بالملتقيات، والملحق الثقافي لجريدة الحرية. ونشرت له الدار التونسيّة للنشر والجامعة التونسيّة ومركز البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعيّة بتونس ودار الغرب الإسلامي والأكاديميّة المغربية، وقد حرص قبل وفاته على نشر محاضراته مبوّبة.

وفيما يلي فهرس أبجدي لما توصّلنا إليه مما كَتب وكُتب عنه.

بيبليوغــرافيـــا :

*منشـــورات :

أ - كتب مفردة :

1- ابن عرفة والمنزع العقلي / الدار التونسية للنشر 1993.

2- العامل الديني والهوية التونسيّة / الدار التونسية للنشر 1990. ط 2 : 1993.

3- كيف نهتم بالتراث ؟ / الدار التونسية للنشر1990.

4- **Ibn Arafa et le Malikisme en Ifriqiya au VIIIe / XIVe s.** Paris, Sorbonne 1983 (Thèse du doctorat d'état), Pub.Fac. des Lettres, Manouba (Tunis) 1992.

ب - كتب مشتركة :

5- دراسات عن ابن عرفة (جمع وتقديم) / المندوبية الجهوية للثقافة بولاية تطاوين 1992.

6- **بالاشتراك مع مقداد منسية وعبد المجيد الشرفي** :

Histoire de la notion de justice en Islam / in : Foi et justice, Paris Centurion,1993, p.51-74

ج- تحقيق التراث :

7- **باب الإمامة من كتاب المختصر الشامل لابن عرفة : تحقيق وتقديم** / في: حوليات الجامعة التونسية ع 9 س 1972 ص 177 - 234.

8- **رسالتان في المنطق (للخونجي وابن عرفة)** / تونس (مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية) 1976.

9- **عيون المناظرات لأبي علي عمر السكوني (تحقيق)**/ منشورات الجامعة التونسية 1976.

10- **لحن العوام فيما يتعلّق بعلم الكلام لأبي علي عمر السكوني**(تحقيق) / في: حوليات الجامعة التونسية ع 12 س 1975 ص 109 - 255.

11 - **النجاشي الحارثي** (تحقيق لديوانه بالاشتراك مع صالح البكاري والطيب العشاش) / في : حوليات الجامعة التونسية ع 21 س 1982 ص 105 - 202.

د- <u>مقالات</u> :

12- **ابن عرفة في المشرق العربي** / في : مجلة الهداية (التونسيّة) جانفي 1981 ص 28 - 34، مارس 1981 ص 83 - 90، وفي : ابن عرفة والمنزع العقلي، الدار التونسيّة للنشر 1993 ص 51 - 89.

13- **ابن عرفة المفتي والأعراب** / مجلة الهداية (التونسيّة) السنة 6 / 1978 - 1979، الأعداد : 2، 3، 4، وفي : ابن عرفة والمنزع العقلي،الدار التونسيّة للنشر 1993 ص 201 - 240.

14- **ابن عرفة الورغمي عبر قرون سبعة** / في : دراسات عن ابن عرفة. المندوبية الجهوية للثقافة بولاية تطاوين 1992 ص 9 - 22، وفي : ابن عرفة والمنزع العقلي،الدار التونسيّة للنشر 1993 ص 33 - 50.

15- **ابن عرفة والعرف التونسي** / في : دراسات عن ابن عرفة. المندوبية الجهوية للثقافة بولاية تطاوين 1992 ص 133-153، وفي : ابن عرفة والمنزع العقلي،الدار التونسيّة للنشر 1993 ص125-148.

16- **الإسلام والروحانيّة غير الكتابية** / في :

IVe rencontre islamochrétienne: La spiritualité, une exigence de notre temps. Tunis 21- 26 / 4 / 1986 CERES.

وترجمة أنقليزية في : Islamochristiana n. 14, 1988, P 51-70;

وفي : كيف نهتم بالتراث ؟ الدار التونسيّة للنشر 1990 ص 147 -181.

17- **الإسلام والنصرانيّة : من الصدام إلى الحوار** / في : واقع الإسلام وتحديات العصر ، تونس (مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية) 1986 ص 73 - 88، وفي : كيف نهتم بالتراث؟ الدار التونسيّة للنشر 1990 ص 183 - 205،

وترجمة أنقليزية : Islam and Christianity : From opposition to dialogue / in : Islamochristiana n. 13, 1987 P.99- 111

18- **تطور مفهوم الاجتهاد** / في : قضية الاجتهاد في الفكر الإسلامي. المنشورات العلمية التونسية (نشر المركز القومي الجامعي للتوثيق العلمي والتقني) تونس 1987 ص 15 - 33 ، وفي : دراسات عربية (Etudes Arabes) ع 75. 1988 ص 25-49، ع 76، 1989 ص 5 - 19 ، وفي : العامل الديني والهوية التونسية،الدار التونسيّة للنشر 1990 ص 71 - 102.

19- **تفسير ابن عرفة ورواياته** / في : أعمال الملتقى الأوّل للإمام ابن عرفة بمدنين. منشورات الحياة الثقافية، تونس 1977 ص 380 - 410، وفي : ابن عرفة والمنزع العقلي، الدار التونسيّة للنشر 1993 ص 91 - 124.

20- **حول إحراق المرابطين لإحياء الغزالي** / في :

Madrid.; Actas del IV Coloquio hispano - tunecino, Palma de Mallorca 1979, Inst. hispano-arabe de Cultura 1983, P. 133 - 164

وفي: العامل الديني والهوية التونسية، الدار التونسيّة للنشر 1990 ص 137 - 177.

21- **خواطر حول تجربة مكتب تنسيق التعريب** / في : مطبوعـــات أكاديمية المملكة المغربية، نوفمبر 1993 ص 285 - 292.

22- **العامل الديني والهوية التونسية** / في :جريدة الحرية (الملحق الثقافي) 10 / 11 / 1988 ص 6-7 ، وفي:العامل الديني والهوية التونسية، الدار التونسيّة للنشر 1990 ص 11 - 30.

23- **علم الكلام : هل تجاوزه الزمان ؟** / في : الدروس العمومية بكلية الآداب بمنوبة (تونس) 1988 - 1989 ؛ نشرة 1990 ص 105 - 128.

24- **فكرة التقدم عند المفكرين الإسلاميين القدامى** / في : الملتقى الإسلامي المسيحي (11-17 نوفمبر 1974) ص 85 - 124، وفي : كيف نهتم بالتراث؟ الدار التونسيّة للنشر 1990 ص 65 - 116.

25- **في التسامح** / في : مجلة دراسات أندلسيّة ع 14، جوان 1995 ص 3-4 بالعربية ، 3-4 بالإسبانية.

26- **كتب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية : مثال نوازل البرزلي** / في : حوليات الجامعة التونسية ع 16 س 1978 ص 65 - 102.

27- **كلمة في تكريم محمد اليعلاوي** / في : محمد اليعلاوي : ثلاثون سنة في البحث والتدريس، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1993 ص 35 - 40.

28- **المذهب المالكي عنصر ائتلاف في المغرب العربي الإسلامي** / في : الذاتية العربية بين الوحدة والتنوّع. تونس (مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية)

1979 ص 231 - 254، وفي : العامل الديني والهوية التونسية. الدار التونسيّة للنشر 1990 ص 31 .

- الجزء الأوّل من الأطروحة حول ابن عرفة (تعريب) / مرقون جاهز للطبع.

- السماء، تنادينا (مداخلة لندوة المغرب ، جويلية 95) / مرقونة.

29- **مرشدة ابن تومرت وأثرها في الفكر المغربي** / في : Les Cahiers de Tunisie. n. 103 - 104 (1978), p. 107 - 138

30- **مسائل أندلسية إفريقية من القرنين الثامن والتاسع للهجرة (14 - 15 م)** / في : مجلة دراسات أندلسيّة ع 1، ديسمبر 1988 ص 7 - 32.

31- **مفهوم الإيمان والعمل في الفرق الإسلامية** / في : العلم والإيمان في الإسلام، تونس 1975 ص 221 - 242، وفي : مجلة الهداية، جويلية 1975 ، وفي : كيف نهتم بالتراث؟ الدار التونسيّة للنشر 1990 ص 37 - 64 .

32- **الملتقى الإسلامي المسيحي الثاني بتونس (30 أفريل - 5 ماي 1979)** / في : مجلة الحياة الثقافية ع 4 (جويلية 1979) ص 112 - 117.

La 2ème rencontre islamo-chrétienne de Tunis (30Avril - 5 Mai 1979) /in : IBLA , n. 144 (1979-2) p.337-352. - 33

L'Igtihad ou l'effort de rénovation continue en Islam/ : dans Islamo-christiana n. 11, 1985, P. 135 -154. -34

Reflexions à propos de la querelle, Ibn Arafa (716 / 1316 - 803 / 1401) Ibn Haldun (732 / 1332 - 808 / 1406) / in : Les Cahiers de Tunisie XXXV, n. 139 -140 (1er. 2ème trim. 1987) P. 45-70. - 35

هـ - ترجمة :

36 - تعريب مقدمة تحقيق كتاب المسالك والممالك للبكري. بيت الحكمة والدار العربية للكتاب، تونس 1992 ص. 5 -45

Al Nayfar Hmida : De la Ridda (apostasie) à la foi, ou la conscience du paradoxe / in : Comprendre, n. 88 / 05 (5 mai 1988)) P. 9. -37

و- عرض كتب :

38 - **"الإسلام والحياة الجنسية" لعبد الوهاب بوحديبة (عرض وتعليق)** / في : مجلة الهداية، جوان 1976 ص 97 - 105.

39 - **"بحوث في التفكير الإسلامي" لمحمد أركون (عرض وتعليق)** / في: مجلة الهداية، جويلية 1974 ص 94 - 98،أكتوبر 1974 ص 77 - 81.

40 - "محمد" لمكسيم رودنصون (عرض وتعليق) / في : مجلة الهداية، جانفي 1974 ص 79 - 82، 84.

* مخطوطات :

- باب الحج من المختصر الفقهي لابن عرفة (تحقيق وتقديم) / مرقون جاهز للطبع.

* بصدد الإعداد :

- فتاوي ابن عرفة (تحقيق ودراسة).

* رسائل أشرف عليها :

1- الأحول(محمد) :

التقييد الكبير للبسيلي على شيخه ابن عرفة (سورتا الأعراف والأنفال) / كلية الآداب بمنوبة 1983 (شهادة كفاءة للبحث).

T 2930

2- ابن حمادة (جمال) :

الإسعاد في تحرير مقاصد الإرشاد لابن بزيزة / كلية الآداب بمنوبة1981 (شهادة كفاءة للبحث).

T2643

3- ابن عكير (محمد):

تفسير القرآن لابن عرفة (قسم من رواية البسيلي : التقييد الصغير) / كلية الآداب 1977 (شهادة كفاءة للبحث).

T1676

4- ابن عمارة (خميس) :

تذكرة المحبين في أسماء سيد المرسلين لمحمد الرصاع / كلية الآداب 1980 (شهادة كفاءة للبحث).

T2166

5- بلحاج علي (عبد الرحمان) :

تحقيق وتقديم مبحث الدماء والحدود والجنايات والعقوبات ومبحث السرقة من كتاب أحكام البرزلي / كلية الآداب 1978 (شهادة كفاءة للبحث).

T1736

6- **جعبيري (فرحات) :**

الإباضية في المجتمعات الإسلامية / كلية الآداب بمنوبة دكتوراه دولة (بصدد الإعداد).

7- **حمزة (محمد) :**

فتاوي مجلة الهداية / / كلية الآداب بمنوبة 1987 (شهادة كفاءة للبحث)

3748T

8- **خلف الله (المولدي):**

تحفة الأخبار في فضل الصلاة على النبي المختار (تحقيق) / كلية الآداب بمنوبة 1983 (شهادة كفاءة للبحث).

T2932

9- **ريفي (هادية) :**

إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم/ كلية الآداب بمنوبة 1980 (شهادة كفاءة للبحث).

T 3214

10- **زغلامي (عبد الواحد):**

تحقيق سبك المقال لفك العقال لابن الطواح / كلية الآداب 1978 (شهادة كفاءة للبحث).

T 1668

11- **سوف الجين (عبيد):**

القسم الثالث من التقييد الكبير للبسيلي على تفسير ابن عرفة (تحقيق) / كلية الآداب 1979 (شهادة كفاءة للبحث).

T 1599

12- **شتوي (أحمد البخاري) :**

تفسير ابن عرفة برواية تلميذه الجزائري البسيلي / كلية الآداب بمنوبة 1987 (شهادة كفاءة للبحث).

T 3735

13- **شتيوي (أحمد) :**

تحقيق مخطوط "توشيح الديباج وحلية الابتهاج" للقرافي / كلية الآداب 1976 (شهادة كفاءة للبحث).

14- شتيوي (جميلة):

واسطة السلوك في سياسة الملوك للزّياني / كلية الآداب بمنوبة 1989 (شهادة كفاءة للبحث).

T 4081

15- شواشي (عبد الوهاب):

تحقيق الجزء الأوّل من التقييد الكبير للبسيلي على شرح ابن عرفة / كلية الآداب 1973 (شهادة كفاءة للبحث).

T 1737

16 - الصوابني (خير الدين):

الهويّة في التفكير العربي الحديث / كلية الآداب بمنوبة 1993 (شهادة كفاءة للبحث).

T 5126

17- طرابلسي (محمد):

تحقيق ذيل طبقات الشافعية لابن كثير / كلية الآداب 1977 (شهادة كفاءة للبحث).

T 2012

18- عامري (محمد الهادي):

تحقيق باب القضاء من نوازل البرزلي / كلية الآداب 1979 (شهادة كفاءة للبحث).

T 2600

19- عماري (محمد):

بلوغ الأماني في شرح قصيدة الدماميني لابن اللؤلؤ الزركشي / كلية الآداب بمنوبة 1981 (شهادة كفاءة للبحث).

T 1691

20- عياري (منصف):

تحقيق جزء من تفسير القرآن الكريم لابن عرفة برواية تلميذه محمد البسيلي : التفسير الصغير، القسم الثاني / كلية الآداب 1977 (شهادة كفاءة للبحث).

T 1741

21- قموع (محمد):

التقييد الكبير للبسيلي على شيخه ابن عرفة (من سورة الأنبياء إلى سورة ص) (تحقيق) / كلية الآداب بمنوبة 1986 (شهادة كفاءة للبحث).

T 3592

22- كشلاف (نزيهة):

الحكم المفيدة والفوائد الحميدة (تحقيق) / كلية الآداب بمنوبة 1989 (شهادة كفاءة للبحث).

T 4082

23- مصلح (الهادي):

الدليل والبرهان (تحقيق) / كلية الآداب بمنوبة 1983 (شهادة كفاءة للبحث).

T 2922

24- ملولي (رضا):

معالم الثقافة الإسلامية بافريقية من خلال رياض النفوس للمالكي / كلية الآداب بمنوبة 1987 (شهادة كفاءة للبحث).

T 3759

25 - نقرة (بشير):

التقييد الكبير لابن عرفة برواية البسيلي (تحقيق قطعة منه) / كلية الآداب 1977 (شهادة كفاءة للبحث).

T 2560

26- همامي (بلقاسم):

تفسير الإمام محمد بن عرفة برواية البسيلي (قطعة منه) / كلية الآداب بمنوبة 1986 (شهادة كفاءة للبحث).

T 3557

27- واكدي (جليلة):

كتاب نزهة الأنظار لمحمود مقديش (تحقيق) / كلية الآداب بمنوبة 1983 (شهادة كفاءة للبحث).

T 2948

28- يحيى (المختار):

التقييد الكبير للبسيلي على تفسير ابن عرفة (تحقيق قطعة منه) / كلية الآداب 1978 (شهادة كفاءة للبحث).

T 1735

29 - يعقوبي (حسين) :

تحقيق رسالة إيضاح البيان للسمهودي / كلية الآداب بمنوبة 1980 (شهادة كفاءة للبحث).

T 1704

30- **يعيش (يونس):**

علي النّوري الصفاقسي : حياته و آثاره / كلية الآداب بمنوبة 1987 (شهادة كفاءة للبحث).

* ممـا كتـب عنـه :

1 - **ابن رجب (محمد):**

الراحل سعد غراب / جريدة الصباح (مسألة ثقافية) 19 / 7 / 1995 ص 8 .

2 - **البكاري (صالح):**

وزير الثقافة (كلمة التأبين) : الراحل سعد غراب كانت غايته التأسيس لحقول الخبر / جريدة الصباح 21 / 7 / 1995 ص 11.

3 - **بوسنينة (محمد أنور):**

سعد غراب مثال المثقف الواعي / جريدة الصباح 1 / 8 / 1995 ص 8.

4 - **الحمروني (أحمد):**

رسالتان في المنطق (عرض) / مجلة البداية نوفمبر 1976 ص 85-86.

5 - **الحمروني (أحمد):**

عيون المناظرات(عرض) / جريدة بلادي الثقافية 7 / 8 / 1978 ص 21.

6 - **الحمروني (أحمد):**

للوفاء والذكرى : سعد غراب باحثا، كان يبرهن على الاجتهاد في ديننا والعقل في فكرنا للحوار والتسامح مع الآخر / الملحق الثقافي لجريدة الحرية 27 / 7 / 1995 ص 2.

7- **شيخة (جمعة):**

عيون المناظرات لعمر السكوني،تحقيق سعد غراب (عرض)/ مجلة الحياة الثقافية، سبتمبر 1979 ص 67 - 74.

8 - **القاسمي (فتحي):**

سعد غراب : رحيل قبل الأوان / جريدة الصباح 1 / 8 / 1995 ص 8.

9 - **الكحلاوي (محمد):**

تقديم كتاب ابن عرفة والمنزع العقلي بمناسبة أربعينية مؤلفه الفقيد سعد غراب : من أجل ترظيف عقلاني للتراث / جريدة الصحافة (الثقافية) 1 / 9 / 1995 ص6.

10 - **لصيلع (عبد السلام):**

للوفاء والذكرى : الدكتور سعد غراب حياة مليئة بالنشاط الفكري والمسؤوليات

الثقافيـــة وطنيا وعربيا وعالميا / الملحق الثقافي لجريـدة الحرية 20 / 7 / 1995 ص4.

11 - المرزوقي (حسين):

بمناسـبة أربعينيتــه: سعد غراب والهوية والتراث والحداثة / الملحق الثقافي لجريدة الحرية 24 / 8 / 1995 ص2 .

12- الهادف (محمّد):

ندوة الألكـسو ببيت الحكمة : من أجل عمل عربي تربوي وثقافي مشـترك (كلمة محـمد الميلي الإبراهيـمي المدير العام للألكـسو) / جريدة الصـحافة (الثقافية) 27 / 8 / 1995 ص 6.

-13 **BALEGH (Hédi):**

La mort de Saad Ghrab / La Presse 24 / 7 / 1995 p.10.

<u>ملاحظة</u> : ستصدر جمعية ابن عرفة بالتعاون مع أصدقاء الفقيد والجهات المعنية كتيّبا خاصا به.



تصويب خلل في متن إحدى تراجم كتاب : "الكتيبة الكامنة" للسان الدين بن الخطيب

أ. مصطفى الغديري

كلية الآداب بوجدة - المغرب

يعتبر كتاب الكتيبة الكامنة من أهم مصادر الشعر الأندلسي في القرن8 / 14، كما يعتبر - في الوقت ذاته- إحدى حلقات مكتبة ابن الخطيب التي تمثل بحق موسوعة لتراث الفردوس المفقود على امتداد العصور السياسية لحكم المسلمين بشبه جزيرة إيبيريا، وبخاصة عصر المؤلف.

وقد ألف ابن الخطيب كتابه هذا في فترة محنته بالمغرب الأقصى غداة رحيله عن وطنه الأندلس سنة 773 / 1371[1]، بعدما شعر أن إمارة غرناطة "النصرية" لم يعد فيها مجال يتسع لإقامته، لاشتداد السعاية والوشاية به لدى السلطان النصري محمّد الخامس الغنيّ بالله، وقد تزعمها ضده كل من تلميذه ابن زمرك وصديقه قاضي الجماعة أبو الحسن علي النباهي[2].

وهذا الكتاب يرد في المصادر الأندلسية والمغربية بنوع من الاختلاف في عنوانه، فتارة يحمل" اسم الكتيبة الكامنة في أبناء المائة الثامنة"[3] وتارة يرد باسم " الكتيبة الكامنة في شعراء المائة الثامنة"[4]، وطورا آخر يسمى " الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثامنة" [5]. في حين يرد عنوانه في أصولها المخطوطة " الكتيبة الكامنة في مَن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة

1) انظر خبر هذه النكبة في المراجع الآتية : لسان الدين بن الخطيب تأليف المرحوم محمّد عبد الله عنان : 130 - 10 ط القاهرة 1968، مقدمة د. إحسان عباس للكتيبة الكامنة ص : 7 - 15 ط. بيروت 1983، مقدمة الإحاطة بقلم محمّد عبد الله عنان ج 1 ص : 29 -43 ... ويصرح ابن الخطيب أنه كتب الكتيبة سنة 774 - انظر الكتيبة تحقيق : د. إحسان عباس ص : 249.

2) وبإيعاز منهما أتيمت محاكمة بفاس واغتيل بطريق شنعاء (انظر المراجع السابقة).

3) نفح الطيب للمقري ط. إحسان عباس 5 / 138، 470.

4) نفسه : 7 / 100.

5) نفسه : 7 / 97.

الثامنة"[6]، إلا أن هذا الإشكال ليس بذي أهمية ما دامت أصول الكتب المخطوط متفقة على عنوان واحد[7].

وكان ابن الخطيب قد جمع مواد هذا الكتاب بغية التعريف بأدباء وشعراء الأندلس، وبعض المغاربة، في المشرق العربي على غرار ما فعل بلديّه ابن سعيد في كتابه " المغرب في حلى المغرب"، وابن دحية في كتابه " المطرب من أشعار أهل المغرب"، لأن المؤلف كان يفكر في التوجه إلى المشرق قصد أداء فريضة الحج، وربما كان يفكر في قضاء ما تبقى من حياته بأرض الحجاز، لما أحس بخطر أعدائه الذين أوغروا عليه صدر مخدومه السلطان محمّد الخامس النصري، كما سبقت الإشارة. ويوضح ذلك ما جاء في خطبة كتابه هذا من أنه شرع في صرف وجهه إلى المشرق، ممنيا نفسه برؤية المعاهد التي طاب ثراها[8].

ومن جهة أخرى يفهم من الخطبة نفسها أن المؤلف جمع مواد هذا الكتاب ليقدمها هدية متواضعة لإخوانه بالمشرق قصد اطلاعهم على إبداع معاصريه ممن عاشرهم وشافههم وبادلهم الإفادات[9].

أمّا أهمية هذا الكتاب ومحتواه ومنهج صاحبه، فتلك أمور عالجها العالم المحقق الدكتور إحسان عباس في مقدمة تحقيقه للكتاب المطبوع[10]. وقد ذكر أنه اعتمد في تحقيقه على ثلاث نسخ مخطوطة وهي كلها توجد بالخزانة العامة بالرباط وهي: نسخة رقم : 2291 ك، ونسخة رقم 132 ثم نسخة رقم : 56 ج.

ومن خلال قراءتي المتواضعة هذا الكتاب المطبوع و تأملي مع مصادر الأدب الأندلسي والمغربي تبين لي أن خللا ما وقع في إحدى تراجم الكتيبة الكامنة، ويتعلق الأمر بترجمة الفقيه أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن محمّد بن فرج بن شقر آل اللّخمي الطّرسوني[11]. ثم أكد لي ذلك تعليق الدكتور إحسان عبّاس في تحقيقه كتاب نفح الطيب قائلا : " وردت ترجمة ابن

---

6) بالإضافة إلى المخطوطات التي ذكرها الدكتور إحسان عباس في مقدمة تحقيقه للكتيبة الكامنة (انظر ص 22): هناك مخطوطات أخرى للكتاب أحسب أن الدكتور إحسان عباس لم يطلع عليها وقت تحقيقه، أذكر من بينها مخطوطة الكتيبة الكامنة بالخزانة العامة بالرباط رقم 49د، وأخرى 411، بالخزانة نفسها ثم نسخة الحمزاوية بالمغرب رقم 141 . ونسختان بالخزانة الحسنية بالرباط وأخرى بأكاديمية التاريخ بمدريد، ونسخة بخزانة القرويين بفاس وأخرى بالخزانة العامة بتطوان ... إلخ . وهي كلها متفقة في العنوان.

7) وقد أفاض الدكتور إحسان عباس في هذا الموضوع (انظر مقدمة تحقيقه للكتيبة الكامنة ص 15 - 16).

8) انظر الكتيبة ص : 28 ، الفقرة الأولى.

9) نفسه : 29 - 30.

10) صدر الكتاب في طبعتين : الأولى سنة 1963 والثانية 1983.

11) ترجمة رقم 22 ص : 73 من المصدر السابق.

هذيل، في الكتيبة خطأ. تحت اسم ابن شقرآل "[12]، إلا أن هذا الخطأ بقي ثابتا في الكتيبة رغم إعادة المحقق نشره في طبعة ثانية. الأمر الذي دفعني إلى تحديد هذا الخطأ بالمقارنة بين ترجمة ابن شقرآل وبين ترجمة ابن هذيل في المصادر التي ترجمت لهما. فتبين لي ما يلي :

إن أكثر ما جاء في ترجمة ابن شقرآل في كتاب الكتيبة يوجد في متن ترجمة ابن هذيل، تحلية وشعرا، في المصادر الآتية: كتاب الإحاطة،[13] ونفح الطيب[14]، ونثير فرائد الجمان لابن الأحمر[15]. لكن مع ذلك بقي السؤال المطروح : ما هو مصدر هذا الخطأ ؟ وكيف أسندت أشعار ابن هذيل وأخباره لابن شقرآل في كتاب الكتيبة ؟ وهل تم ذلك خطأ، أو وقع خلل ما في نص ترجمة ابن شقرآل ؟

هذه الأسئلة أو التساؤلات دفعتني إلى مراجعة الأصول المخطوطة التي اعتمدها المحقق. لكن سرعان ما تبين لي أنها مطابقة لما جاء في الكتاب المطبوع، بل أكثر من هذا وقفت على نسخة رابعة لم يطلع عليها المحقق، وهي موجودة بالخزانة العامة بالرباط تحمل رقم 49د فوجدتها لا تختلف في شيء عن النسخ الثلاثة المشار إليها.

واستمر بحثي في الموضوع إلى أن وقفت على نسخة خامسة تحمل رقم : 411 د، وهي أقدم هذه النسخ جميعا ، كما بدا لي من خطها وورقها. وعند تصفحي أوراقها وقراءاتي ترجمة ابن شقرآل اتضح لي أن ترجمة هذا الفقيه الشاعر سقطت من النسخ المخطوطة التي اعتمدها المحقق، ولم يبق منها إلا اسمه الذي يشكل عنوان الترجمة، كما حذفت بداية الترجمة الموالية لابن شقرآل، وهي ترجمة ابن هذيل التجيبي، فصارت الترجمتان ترجمة واحدة بعد حذف متن الأولى وبداية الثانية.

وأكد لي صحة ما ورد في هذه النسخة الأخيرة نسخة أخرى مخطوطة أحالني عليها صديقي البحاثة عبد العزيز الساوري، وهي مخطوطة الزاوية الحمزاوية التي تحمل رقم 141 ولها صورة على المكيروفيلم بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 147[16].

---

12) نفح الطيب تحقيق د. إحسان عباس : 5 / 487 ها : 3.ط صادر 1968.

13) قارن بين ما جاء في ترجمة ابن شقرآل في الكتيبة ص : 73، وبين ما جاء في الإحاطة في ترجمة ابن هذيل : 4 / 391 وبخاصة العبارة الآتية " درة بين الناس مغفلة، وخزانة علي كل فائدة مقفلة ... الخ.

14) النفح : 5 / 488 - 497 نفس الفقرة السابقة ينقلها المقري عن ابن الخطيب.

15) قارن بين الأشعار المنسوبة لابن شقرآل في الكتيبة : 73 - 80، وبين الأشعار، التي أوردها ابن الأحمر في كتابه نثير فرائد الجمان، لابن هذيل التجيبي ص 320 -323.

16) أمدني الأستاذ عبد العزيز الساوري -حفظه الله- بنسخة مصورة لترجمة ابن شقرآل من هذا النسخة ص39.

بالإضافة إلى هذا وجدت متن ترجمة ابن شقرآل الواردة في المخطوطتين السابقتين مطابقة لما جاء في كتاب الإحاطة، بما في ذلك الأبيات الشعرية التي ذيلت بها هذه الترجمة[17].

أما مصدر هذا الخلل - فيما يبدو لي - فقد وقع فيه ناسخ إحدى المخطوطات، ثم تبعه في ذلك مَنْ نقل عن هذه النسخة إلى أن شاع هذا الخلل في عدة نسخ.

ويتضح من النص المقدم أن هذا الخطأ قد يكون نتيجة عدم تركيز الناسخ أثناء النقل من الأصل، فانتقل قلمه من عبارة " رحمه الله" في ترجمة " ابن شقرآل؛ إلى عبارة " رحمة الله عليه" في ترجمة ابن هذيل، فصار متن ترجمة ابن هذيل ترجمة لابن شقرآل بعد أن سقط نص ترجمته وبداية ترجمة ابن هذيل.

وتعميما للفائدة وإزالة لهذا اللبس أقدم هذا النص المحذوف في النسخة المطبوعة، حفاظا على سلامة تراثنا ووفاء لجهود أسلافنا. كما أقدمه تحية إكبار للعالم المحقق الدكتور إحسان عبّاس الذي أفنى زهرة شبابه في خدمة التراث العربي عامة، وتراث الأندلسي خاصة.

هذا، وقد اعتمدت في إخراج هذا النص على نسختين مخطوطتين : نسخة الخزانة العامة بالرباط رقمها 411د، وجعلتها هي الأصل، ثم نسخة الزاوية الحمزاوية التي رمزت إليها بحرف "ح" في حواشي النص. وما توفيقي إلا بالله، وعليه توكلت.

17) قارن بين نص الترجمة المستدركة في هذه المقالة وبين ترجمة ابن شقرآل في كتاب الإحاطة : 3 / 24.

نص الترجمة المستدركة

(و : 17) الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن فرج بن شقرال اللخمي الطرسوني[1] رحمه الله بمنه[2].

(و : 18) [صدر مجلسه الصدر، وفارس فنون رمحه السماك الرامح، ومجمه البدر، قل وأن يذكر فن إلا وقيامه عليه ممتن، إلى الخط الرائق الرائع والإحكام لكثير من الصنائع، اعتمده دهره بالتغريب، وأوقفه على حال البراءة موقف المريب، ثم امتحن بالتغريب فتوفي في غربته ودفن رحمه الله بغير تربته[3]. لم أقف من شعره إلا على هذين البيتين :[4]

إذا قذفت بي حيث شاءت يد النوى ... ففي كل شعب لي إلى البك طريق

وإن أنا لم أبصر محياك باسما ... فإنسان عيني في الدموع غريق

شيخنا الحكيم الأعرف أبو زكريا يحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي رحمة الله عليه][5]

درة مغفلة، وخزانة على كل فائدة مقفلة...

---

1) في " ح" الطرشوني. ولعل الصواب ما جاء في الأصل لأنه نسبة إلى مدينة طرسونة (انظر الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري " طرسونة" ، وصفة جزيرة الأندلس ص : 123، نفح الطيب : 1 / 166، 340، 4 / 455، المغرب في حلى المغرب لابن سعيد : 2 / 433، 457).

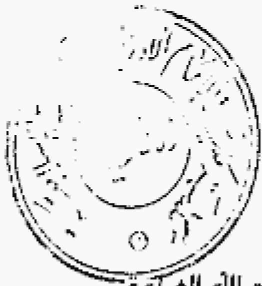
2) لم ترد الكلمة الأخيرة في "ح".

- يقع النص المستدرك بين [] بداية ونهاية.

3) مضمون خبر محنته أورده ابن الخطيب في كتابه الإحاطة : 3 / 24 - 25.

4) ورد البيتان في الإحاطة مع بيت ثالث (3 / 24 -25).

5) إلى هنا ينتهي النص الساقط من الكتيبة المنشورة، وما بعده ورد في ترجمة ابن شقرال خطأ.



ظاهرة المنفرجات الأندلسية
في القرن 8 / 14

د. عبد الحميد بن عبد الله الهرامة

طرابلس - ليبيا.

اقترن مصطلح "المنفرجة"بجيمية يوسف بن النحوي المتوفى عام 513 / 1119 (1)، وفي مطلعها يقول :

إشْتَدِّي أزْمَةُ تَنْفَرِجِي قَدْ آذَنَ لَيْلُكِ بِالْبَلَجِ

وهي مصدَّرة بالحديث الشريف : "اشتدي أزمة تنفرجي" (2). وقد حظيت هذه القصيدة بالشرح، والتخميس، والحفظ والمعارضة(3). وفي هذا الصدد شهد القرن8 / 14 إقبال ثلة من الشعراء على معارضتها، عقب كائنة "طريف" وما تلاها من أزمات حلت بالأندلس خلال العقد الخامس من هذا القرن، وذلك لما تحمله هذه القصيدة ومعارضاتها من آمال بانفراج الشدة عند إحكامها، ودعوة للصبر والاعتبار، والرضاء بقضاء الله في وقت اشتدت فيه الحاجة إلى هذه المعاني.

تبدأ المنفرجات، إذن ، بالحديث النبوي المذكور وهي : تنهج سبيل المنفرجة الأولى في ذلك، وفي نسجها على بحر المتدارك وقافية الجيم المكسورة، وفي اعتمادها على طريقة تقديم النصائح وبعث الآمال بمداومة الصبر.

وقد بقي من منفرجات القرن8 / 14 - فيما نعلم - قصيدتان كاملتان، أولاهما لأبي القاسم عبد الله بن رضوان، والثانية لأبي عبد الله محمد بن علي الأنصاري المعروف بالمستحبي، وذلك من أصل عدة منفرجات عبرت عن مشاعر أدباء الأندلس إثر هذه النكبة الموجعة.

---

1) هو يوسف بن محمد التوزري التلمساني (433 / 1041-513 / 1119) . قال ابن الابار : " كان عارفا بأصول الدين والفقه يميل إلى النظر والاجتهاد . له تآليف". وله تراجم أخرى في نيل الابتهاج : 622، والبستان : 299، وجذوة الاقتباس : 346، والأضواء البهجة في إبراز حقائق المنفرجة، والتشوف : 95، والاستقصا : 2 / 74.

2) الحديث في : كنز العمال : 6517، وكشف الخفاء : 1 / 146، والدرر المنتشرة للسيوطي : 15، وانظر : ميزان الاعتدال : 1 / 536.

3) شرحها أبو العباس أحمد بن زيد النقاوسي، ومن هذا الشرح وغيره اختصر بعضهم شرحا مفيدا رأيته بالخزانة الصبيحية (210) ولبعض شيوخه شرح آخر مختصر.

قال محمد بن رضوان شارح [4] منفرجة جده أبي القاسم: " كانَ نظمُه -رحمه الله - لهذه القصيدة في صغره ببلد الأندلس، حينَ وقعتْ بينَ المسلمينَ والنصارى وقائعُ عظيمةٌ، فَدَحَ بها الخطْبُ، واشتدَّ الكربُ، وذلك إثرَ كائنةِ طريف"[5] . وسنقف عند كل واحدة من المنفرجتين بشيء من التفصيل.

أولا : منفرجة ابن رضوان [*]

حفظ لنا منفرجة ابن رضوان رجل من نسله كما تقدم، ويبدو من مقدمة شرحه لها أنها الأفضل بين مثيلاتها في هذه الحقبة، وقد فضّلها الشيخ أبو جعفر بن رضوان [6] على نظائرها، حيث روى الناظم نفسه في قوله : " لما نظمت هذه القصيدة الجيمية، وكانت من أول نظمي، دفعت مبيضتها إلى شيخنا الفقيه العدل المتفنن الشهير أبي جعفر بن رضوان - رحمه الله - ليتصفحها وينتقدها، وكان الشيخ أبو جعفر حديث عهد بنظم قصيدتين في معناها، مجاريا شعراء غرناطة الذين نظموا مثل ذلك، فقال :

بَرَزْتَ عَلَى الشُّعَرَاءِ بِمَا ... أَبْـرَزْتَ مِنَ النُّظْمِ البَهِـجِ
فَتَقَـدَّمْ حَامِـلَ رَايَتِـهِ ... لكَ طَبْعٌ بِالتَّقْدِيمِ حجِ [7]

إن أهمية هذا النص لا تكمن في تفضيله لمنفرجة ابن رضوان على نظائرها فحسب، وإنما في الإشارة إلى مدى اتساع هذه الظاهرة التي تسابق في حلبتها شعراء غرناطة، وفيهم من نظم أكثر من منفرجة، كما عرفنا من خلال التعريف بصنيع أبي جعفر في ذلك.

وتفضيل أبي جعفر بن رضوان لهذه المنفرجة يكتسي أهميته من كونه شاعرا أدلى

---

4) هو محمد بن يوسف بن أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أبي القاسم عبد الله بن رضوان، وهذا الأخير هو صاحب المنفرجة، أي أن بين الشارح والشاعر خمسة أسماء، وقد أرشدنا الونشريسي إلى تاريخ وفاة رجل يدعى محمد بن يوسف بن رضوان النجاري سنة 868 / 1463 هـ ووصفه بصاحب القلم الأعلى بفاس، وكذلك فعل ابن القاضي المكناسي في لقط الفرائد (ألف سنة من الوفيات : 148، 260).

5) الشواهد الواضحة النّهج لابن رضوان : 65-66. وهي مخطوطة بالخزانة الحسنية يعمل على تحقيقها الأستاذ محمد الزيات بجامعة غرناطة في إسبانيا.

6) هو أبو جعفر أحمد بن رضوان بن عبد العظيم أحد فقهاء المائة الثامنة وشعرائها المطبوعين. (انظر ترجمته في : أوصاف الناس : 139، وله إشارات في الإفادات والإنشادات للشاطبي تشمل الإنشادات رقم : 18-24-26-28-40-52-90).

7) الشواهد : 66

(*) هو : عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري صاحب "الشهب اللامعة" ووزير بني مرين. (ترجمته في : الإحاطة : 1 / 272، والإحاطة (نصوص جديدة) : 144 ونثير الجمان لابن الأحمر : 235، وفهرس ابن السراج 100، ونفح الطيب: 7 / 147.

بمحاولته في هذا السياق، ولكن صدور التفضيل عنه قد يبعث على الظن بتعصبه لقريبه، ولذا فقد أورد الشارح أدلة أخرى تعزز من قيمة العمل منها قوله : " وروَى عَنْهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالى - هَذه القَصيدَةَ المُبَارَكَةَ في حَدَاثَته جُمْلَةٌ مِنَ الأشْيَاخ، مِنْهُمُ الخَطِيبُ العَلَمُ الشَّهِيرُ أبُو عَبْد اللَّه بْنُ مَرْزُوق [8]، والفَقِيهُ الإمَامُ المُفْتِي أبو عَبْد اللَّه السَّطِي [9]، وقَاضِي الجَمَاعَة بِالحَضْرَةِ السُّلْطَانِيَّةِ العَلَوِيَّةِ أبُو إسْحَاق إبْرَاهِيمُ بنُ أبِي يَحْيى، وغَيْرُهُمْ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ-" [10]

وجرى ذكر البركات التي حلّت بأصحاب المنفرجات بمجلس القاضي أبي بكر بن منظور، وبحضور أبي القاسم بن رضوان، فقال : " إنَّ كُلَّ وَاحد مِنْ أصْحَابِنَا ظَهَرَتْ عَلَيْه بَرَكَةُ قَصِيده وَأبْطأ عَلَيَّ الأمْرُ، فَقَالَ القَاضِي : إنِّي نَظَرْتُ إلى قَصِيدَتِكَ فَوَجَدْتُكَ تَحُضُّ فِيهَا عَلَى الصَّبْرِ أكْثَرَ مِنْ أصْحَابِكَ، فاصْبِرْ أكْثَرَ مِنْ أصْحَابِكَ وَتَنَالُ أعْظَم" [11].

وبذلك تتبين مكانة هذه المنفرجة لدى أبرز أعلام أساتذة غرناطة في ذلك الوقت.

تقع منفرجة ابن رضوان في واحد وسبعين بيتًا، وتتميز بما فيها من دعوات إلى الصبر والتجلد - كما تقدم - . وتميل ألفاظها إلى السهولة والوضوح. ولذا فإن الجانب اللغوي، على وجوده في الشرح، لا يمثل سوى فقرة محدودة ، إلى جانب الإشارات والشواهد الأدبية والدينية.

يتكون إذن شرح هذه المنفرجة من مادة واسعة ومتنوعة تشتمل على الشرح اللغوي، ثم تستطرد إلى الشواهد المناسبة من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والآثار، والأشعار، والحكم والأخبار. الأمر الذي جعله يحظى بأهمية خاصة مقارنة بغيره من النصوص الأدبية المشروحة، ويؤخذ عليه إغفال نسبة كثير من الأشعار إلى قائليها.

ففي شرح قول صاحب المنفرجة :

وَإذَا تَشْجُوكَ مَضَايِقُهَا ... فَالصَّبْرُ يُوَصِّلُ لِلْفَرَجِ [12]

كتب الشارح ما يزيد عن ثلاثين سطرا، استهلها بالشرح اللغوي في ثلاثة أسطر ونصف، فيها ضبط بعض الكلمات، وشرحها، والأصل الاشتقاقي لبعضها. ثم تعرض لسلوك أصحاب

---

8) هو محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني العجيسي، دخل إلى الأندلس سنة 752 / 1351 وأقام بها حتى 754 / 1353 ولكن أخذه القصيدة قد يكون في المغرب لإقامة ابن رضوان به. (ترجمته في : إنباء الغمر : 1 / 320 ، والدرر الكامنة : 3 / 360، والنجوم الزاهرة : 11 / 196، ونيل الابتهاج 450، والبستان : 184، والأعلام : 6 / 226).

9) هو محمد بن سليمان السطي الفقيه المغربي المتوفي سنة 750 / 1349 (ترجمته في : نيل الابتهاج : 408 ، ودرة الحجال : 2 134/، والعبر : 7 / 389، وفهرس الرصاع : 87، وشجرة النور الزكية : 221).

10) مقدمة شرح المنفرجة :66.

11) المصدر نفسه : 66.

12) شرح منفرجة ابن رضوان: 70.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الشدائد، وأقوال ابن مسعود، وابن عباس، وقتيبة بن سعد، وجعفر - رضوان الله عليهم- ثم أورد حديثا شريفا ، وأعقبه بأبيات شعرية تدور في فلك الموضوع الرئيسي، وهو الصبر على الخطوب وتحمل الأذى، قدّم البيتين منها بقوله : " وأنشدوا" وصدّر الباقي بقوله : "آخر في معناه" (13).

ونعود بعد هذا الاستطراد، إلى عرض جزء من هذه المنفرجة يوضح أبرز خصائصها، حيث نلاحظ أن الشاعر يتناول موضوع تلازم الشدة والفرج، انطلاقا من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "اشتدي أزمة تنفرجي" متنقلا بين التبشير، وتهوين الخطوب، والدعوة إلى الصبر، والتسليم بقضاء الله -سبحانه-.

أمّا الوزن فهو "المتدارك" الذي جاءت عليه جميع المنفرجات، وكانت متفقة مع قافية الجيم المكسورة أيضا .

يقول الشاعر :

اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي
مَا بَعْدَ العُسْرِ سِوَى الْفَرَجِ
بُشْرَاكِ بِوَعْدٍ يُنْجِزُهُ
لُطْفُ الرَّحْمَانِ لِكُلِّ شَجِي
وَخُطُوبُ الدَّهْرِ إِذَا بَلَغَتْ
بِنِهَايَتِهَا أَعْلَى دَرَجِ
حُكِمَتْ بِقَضَاءِ اللهِ فَلاَ
تَجْزَعْ لِلْخَطْبِ المُعْتَلِجِ
وَإِذَا تَشْجُوكَ مَضَايِقُهَا
فَالصَّبْرُ يُوصِلُ لِلْفَرَجِ (14)

ثانيا : منفرجة المستحيي(*)

أمّا المنفرجة الثانية فهي للمستحيي المتقدم ذكره، وتقع في حوالي خمسة وأربعين بيتا، أوردها ابن الحاج النميري في مذكراته، ومنها قوله :

إِشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي
فَالشِّدَّةُ تُؤْذِنُ بِالفَرَجِ

13) شرح منفرجة ابن رضوان : 70-72. - 14) الشواهد : 68 / 73.

(*) هو : أبو عبد الله محمد بن علي الأنصاري، تصدر لعقد الشروط بمالقة وعمل في بلاط الدولة المرينية. (ترجم له ابن الحاج في مذكراته بتحقيق برصبير : 138، وابن الخطيب في الكتيبة : 210).

وَالعُسْرُ إِذَا أَعْيَا وَدَهَى

نَعَلَيْهِ قُدُومُ الْيُسْرِ رُجِي

وَالخَطْبُ إِذَا أَرْدَى وَعَدَا

فَبِإِثْرِهِ وَفْدُ الْبِشْرِ يَجِي

وَإِذَا مَا شِئْتَ تَنَالُ مُنًى

فَاجْنَحْ لِلْخَيْرِ وَلاَ تَعُجِ[15]

وقد عكست بعض أبيات هذه القصيدة مهارة المستحيي في البيان والبديع اللذين أشار إليهما ابن الحاج في ترجمته عندما قال : " أَخَذَ بِحَظٍّ مَوْفُورٍ مِنَ الْبَيَانِ وَعِلْمِ الْبَدِيعِ [16]" ومن أمثلة ذلك في القصيدة قوله :

فَإِذَا ظُلَمُ الأَوْصَابِ دَجَتْ

فَالصَّبْرُ لَهَا كَسَنَا السُّرُجِ

وَإِذَا تَبْلُ لِلْخَطْبِ سَجَا

فَرِضَاكَ كَصُبْحٍ مُنْبَلِجِ

وَاخْلَعْ خَلْعَ الدُّنْيَا أَبَدًا

تَرْفُلْ فِي بُرْدِ عُلَى بَهِجِ

حَرْبِي، طَرَبِي، حَزَنِي، شَجَنِي

كَمْ ذَا أَلْقَاهُ مِنَ الْحَرَجِ [17]

حيث جمع في هذه الأبيات بين الاستعارة، والتشبيه، والمقابلة، والجناس،والتقطيع [18]، فصدّق بذلك ما وصفه به ابن الحاج.

وليس ذلك البديع هو أبرز مظاهر هذه القصيدة، فقد أسفرت عن نبضات شعرية متدفقة، ترفع من قيمة صاحبها، وتضع تساؤلا مشروعا على قول ابن الخطيب إنه :" يُعَانِي الأَدَبَ المُنْحطّ..". غير أن عدم استشهاد ابن الخطيب بالنصوص التي أوردها ابن الحاج لهذا الشاعر تدلنا على أنه لم يقف على جيد شعره، واكتفى بما يعرفه منه في زمن الحداثة، ويعزز ذلك قوله في ترجمته "طَالِبٌ لَطِيفُ الشَّمِيلَةِ ...تَعَلَّقَ بِخِدْمَةِ الدَّوْلَةِ المَرِينِيَّةِ" حيث ربط التعريف به بزمن

---

15) مذكرات ابن الحاج، مخطوطة الأسكريال رقم 1734، ص .38.

16) المصدر نفسه : 40.

17) مذكرات ابن الحاج بتحقيق برمبير : 144.

18) التقطيع : هو تقسيم البيت إلى مقاطع متساوية، جمل أو مفردات ، ولقا وضعه ابن رشيق ضمن التقسيم (العمدة بتحقيق قميحة : 260).

الطلب، ونبّه بتحديد وجوده بعيداً عن غرناطة إلى عامل آخر من عوامل ضعف الصلة بين الرجلين، بعكس ابن الحاج، الذي يشترك معه في خدمة الدولة المرينية. ويلم بما أحدثه من تطور فني حتى آخر أيام حياته. وقد انعكست تلك المعرفة بالرجل ونتاجه في ترجمة النميري له بقوله : " وَهُوَ مِنْ ذَوِي الأَذْهَانِ الوَقَّادَةِ، وَالأَفْكَارِ الصَّحِيحَةِ، وَلَهُ قُوَّةٌ عَلَى نَظْمِ اللُّزُومِيَّاتِ، وَصَدَرَتْ عَنْهُ قَصَائِدُ جَمِيلَةٌ [19]".

ومع ذلك، فلست أضع المستحيي في مصاف كبار شعراء هذه الفترة ، وأحسب أنّ قول ابن الخطيب : " وَكَانَ لَهُ شِعْرٌ يُزْعِجُهُ التَّلْفِيق" ينطبق على بعض شعره، ولكن ذلك لا يضعه في مرتبة دون آخرين، امتدحهم ابن الخطيب نفسه وأثنى على شعرهم، ما لم يصدر في أحكامه عن اطلاع على نصوص أخرى لم تصلنا ، حيث يرى الشاهد ما لا يرى الغائب.

وبعد، فقد اطلعنا ، من خلال التعريف بمنفرجتي ابن رضوان والمستحيي على ملامح هذه الظاهرة التي شغلت شعراء غرناطة، وعبرت عن حالة مجتمعها في واحدة من أحلك فترات صراعها مع الأعداء. فكانت، كما قال محمد بن رضوان الشارح : " تَبَرُّكًا وَتَيَمُّنًا وَتَوَسُّلاً إلى اللهِ في إتَاحَةِ الفَرَجِ [20]".

ويبدو أن مثل هذه المنفرجات كانت من المسلّيات التي يُقبل عليها الناس في مثل هذه الشدائد، ويروّح بها الوزراء على ما يجده السلطان من معاناتها ، فقد جرى مثل ذلك على لسان ابن الخطيب في القرن8 / 14، وابن عاصم في القرن9 / 15 ، قال الأول : " كُنْتُ مُنْفَرِداً بِالسُّلْطَانِ - رَحِمَهُ اللهُ-(...) أُونِسُهُ بِعَجَائِبِ الفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، وَأُقَوِّي بَصِيرَتَهُ فِي التِمَاسِ لُطْفِ اللهِ، وَهُوَ يَرَى الفَرَجَ بَعِيداً، وَيَتَوَقَّعُ مِنَ الأَمْرِ عَظِيماً [21]". ثم هو الذي ألف كتابا في هذا الغرض سمّاه "استنزالُ اللُطف الموجود، في أسر الوجود" تناول فيه الصبر على الملمات وأثره في استنزال اللطف.

وبذلك تعكس المنفرجات حالة عامة من مواجهة الأندلسيين لما يحيط بهم من أزمات بالدعوة إلى الصبر والتأسي بالسابقين، وفيها يحس القارئ بوطأة تلك الأزمات وثقلها على نفوسهم، كما يلاحظ تلك العلاقات الوطيدة بين الشعراء الذين يشتركون في أعمال جماعية تمثل ظاهرة في عصرها كهذه المنفرجات.

---

19) مذكرات ابن الحاج بتحقيق برمبير : 138.

20) الشواهد : 66.

21) انظر الإحاطة : 4 / 331، وجنة الرضى : 2 / 77، وبدائع السلك : 2 / 588.

منفرجة ابن رضوان (*)

1) اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي   مَا بَعْدَ الْعُسْرِ سِوَى الْفَرَجِ
2) بُشْرَاكَ بِوَعْدٍ يُنْجِزُهُ   لُطْفُ الرَّحْمَانِ لِكُلِّ شَجِي
3) وَخُطُوبُ الدَّهْرِ إِذَا بَلَغَتْ   بِنِهَايَتِهَا أَعْلَى دَرَجِ
4) عُكِسَتْ بِقَضَاءِ اللَّهِ فَلاَ   تَجْزَعْ لِلْخَطْبِ الْمُعْتَلِجِ
5) وَإِذَا تَشْجُوكَ مَضَائِقُهَا   فَالصَّبْرُ يُوَصِّلُ لِلْفَرَجِ
6) وَيَخِفُّ عَلَيْكَ الصَّبْرُ إِذَا   آنَسْتَ عُقْبَاهُ إِلَى فَرَجِ
7) وَيَعُودُ عَلَيْكَ بِكُلِّ رِضًى   وَبِشَرْحِ الصَّدْرِ مِنَ الْحَرَجِ
8) فَاصْبِرْ وَأَدِمْ تَسْلِيمَ رِضًى   بِقَضَاءِ اللَّهِ عَلَى الْمُهَجِ
9) فَالنُّجْحُ بِصَبْرِكَ مُقْتَرِنٌ   كَقِرَانِ اللَّيْلِ مَعَ الْبَلَجِ
10) وَبِرَبِّكَ ثِقْ وَاسْأَلْهُ هُدًى   تَظْفَرْ بِالْعِزِّ مَدَى الْحِجَجِ
11) وَهِبَاتُ اللَّهِ لِسَائِلِهِ   فَاضَتْ كَرَمًا فَبْسُضَ الْحَرَجِ
12) وَإِذَا دَهَمَتْ لِلْخَطْبِ دُجًى   فَادْأَبْ لِلَّهِ عَلَى الثُّلَجِ
13) إِيَّاكَ وَشَكْوَى تُذْهِبُ مَا   يُولِيكَ الصَّبْرُ مِنَ اللَّهَجِ
14) بِيَمِينِ الصَّادِقِ ثِقْ وَبِمَا   وَعَدَ الْمَوْلَى فَلْتَبْتَهِجِ
15) لاَ تَجْزَعْ خِلِّي فَمَا جَزَعٌ   يُنْجِي أَبَدًا مِمَّنْ لَيْسَ نَجِ
16) إِنْ جَاءَ الْكَسَارُتُ مُنْفَرِدًا   وَجَزِعْتَ ظَلِلْتَ بِمُزْدَوَجِ
17) جَنِّبْ جَزَعًا يُدْنِيكَ إِلَى   غَضَبٍ يُصْلِيكَ لَظَى الْوَهَجِ
18) وَيُمِيتُ الْقَلْبَ فَيُطْرِقُهُ   مِنْ بَحْرٍ تُوَرِّطُكَ فِي لُجَجِ
19) مَا خَابَ صَبُورٌ مِنْ سَعَةٍ   مَا خَابَ جَزُوعٌ مِنْ حَرَجِ
20) وَجَزُوعٌ لَيْسَ يُسَرُّ وَلاَ   يَنْفَكُّ كَذِي سَهْمٍ زَلِجِ
21) طُوبَى لِصَبُورٍ مُتَّئِدٍ   بُؤْسَى لِجَزُوعٍ ذِي هَوَجِ
22) إِنَّ الأَحْكَامَ تُخَالِفُ مَا   يَجْرِي فِي الظَّنِّ فَلاَ تَهِجِ
23) قَدْ يَقْرُبُ مَا يَرْجُوهُ الْمَرْءُ   وَيَبْعُدُ مَا مَلْقَاهُ رَجِ
24) فَاغْلِبْ بِالصَّبْرِ هَوَاكَ إِذَا   تَدْعُوكَ النَّفْسُ إِلَى لَجَجِ

(*) شرح منفرجة ابن رضوان المعروف بـ " الشواهد الواضحة النّهج على القصيدة المبشرة بالفرج "لأبي القاسم ابن رضوان.

25) وَأْتِمْ بِحِجَاكَ الْحُجَّةَ إِنْ خَصَمَتْكَ تَكُنْ أَعْلَى الْحُجَجِ
26) فَالنَّفْسُ تَتُوقُ لِمَا يُرْدِي وَ النَّفْسُ تَمِيلُ إِلَى الْعِوَجِ
27) لاَ تُكْرِمْهَا بِبُلُوغِ مُنًى تَجْزِيكَ بِسَهْوٍ ذِي لَزَجِ
28) إِنْ تُؤْثِرْهَا تُخْمِلْكَ إِذَنْ فَتَظَلُّ رَهِينَ الذُّلِّ شَجِ
29) بِالْعَقْلِ تَحِلُّ فَصَاحِبُهُ مَا انْفَكَّ يَسِيرُ عَلَى نَهَجِ
30) وَالْعَقْلُ يَزِينُ الْجِسْمَ كَمَا يَزْدَانُ الْمَبْسَمُ بِالْفَلَجِ
31) وَبِعَقْلِكَ تَعْرِفُ رَبَّكَ إِنْ وُفِّقْتَ، وَتَسْلَمُ مِنْ لَعَجِ
32) وَالْعَاقِلُ مَهْمَا رَامَ عُلَى تَلْقَاهُ بِبَابٍ مُنْفَرِجِ
33) وَنَوَى اسْتِبْصَارَ بَصِيرَتِهِ تَهْدِيهِ لِصُبْحٍ مُنْبَلِجِ
34) وَاحْفَظْ آيَاتِ اللَّهِ وَمَنْ أَبْوَابِ الْفَهْمِ لَهَا فَلِجِ
35) وَاسْمَعْ وَأَطِعْ وَلْتُغْنَ بِمَا يُسْمِيكَ إِلَى أَعْلَى دَرَجِ
36) وَاخْضَعْ وَاخْشَعْ لِلَّهِ وَتُبْ تَسْعَدْ وَإِلَى بُشْرَاكَ تَجِ
37) وَاقْرِنْ بِالْعِلْمِ الْحِلْمَ تَفُزْ بِقِرَانِ السَّعْدِ الْمُنْبَلِجِ
38) وَعَلَى الأُخْرَى أَقْبِلْ وَأْدَأَبْ وَعَلَى دُنْيَاكَ فَلاَ تَعُجِ
39) وَتَجَافَ عَنِ الدُّنْيَا تَلْكُمْ قَطَعَتْ لِبَنِيهَا مِنْ وَدَجِ
40) إِنْ مِلْتَ لِنَضْرَةِ زَهْرَتِهَا تَغْدُرْ بِكَ غَدْرًا كَاللُّبَجِ
41) وَلِسُرْعَةِ صَرْعَةِ آمِنِهَا فَارْتَقِبْ وَتَجَنَّبْ وَانْعَرِجِ
42) عَيْشُ الدُّنْيَا عَيْشٌ كَدِرٌ لَمْ يَخْلُ رِهَانٌ مِنْ وَهَجِ
43) فَاحْذَرْ خُدَعَ الآمَالِ بِهَا وَعَلَى التَّسْوِيفِ فَلاَ تَعُجِ
44) مَاضٍ أَوْ آتٍ عُمْرُكَ أَوْ حَالٍ كَالسَّهْمِ الْمُنْزَعِجِ
45) مَاضٍ قَدْ فَاتَ وَآتٍ لِعُمْ تَبْلُغُهُ وَحَالُكَ ذُو زَلَجِ
46) فَاعْمُرْهُ بِطَاعَةِ رَبِّكَ وَلْـ تَعْجَلْ لِتَسِيرَ عَلَى نَهَجِ
47) وَاسْلُكْ سُبُلَ الإِخْلاَصِ بِهَا وَعَلَى سُبُلِ الْخَيْرَاتِ عُجِ
48) أَهْلُ التَّقْوَى هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَغَيْرُهُمُ أَدْنَى الْهَمَجِ
49) وَالطَّاعَةُ مَعْقِلُ مَنْ يَبْغِي أَنْ يُعْصَمَ مِنْ خَطَرِ الْهَرَجِ
50) حَسَنَاتُكَ تَمْحُو الذَّنْبَ كَمَا يَمْحُو الإِظْلاَمَ سَنَا السُّرُجِ
51) بِجَوَاهِرِهَا صُنْ عَنْ عَرَضٍ وَأَحَادِثِهَا(1) صُنْ عَنْ سَدَجِ(2)
52) صَاحِبْ أَرْبَابَ الْفَضْلِ وَقِ عَمَّنْ بِمَعَاصِي اللَّهِ هَجِ
53) وَاحْذَرْ نَزْغَ الشَّيْطَانِ وَلاَ يَفْتِنْكَ بِغُنْجٍ أَوْ دَعَجِ
54) وَحُلَى الإِحْسَانِ تَحَلَّ بِهَا وَتَوَقَّ مِنَ الْبُخْلِ السَّمِجِ

---

1) في الاصل : وأحاديثها.

2) السدج : الكذب.

55) وَالصَّمْتَ تَوَرَّعْ وَذَرْ هَذَرًا	تَرْفُلْ فِي ثَوْبِ عُلًى بَهِجِ
56) فَالصَّمْتُ يُحِلُّكَ مَنْزِلَةً	تُعْلِيكَ عَلَى أَعْلَى ثَبَجِ
57) مَنْ كَانَ كَثِيرَ كَلَامٍ لَمْ	يَبْرَحْ أَبَدًا مِثْلَ الْفَرَجِ
58) وَلَرُبَّ كَلَامٍ تَحْسَبُهُ	حَسَنًا وَيَكُونُ مِنَ الْهَوَجِ
59) إِنْ كُنْتَ خُلِقْتَ جَزُوعًا ذَا	هَلَعٍ فِي خُلْقِكَ مُنْدَرِجِ
60) فَصِلِ الصَّلَوَاتِ عَلَى الْهَادِي	وَطَرِيقَتِهِ الْمُثْلَى النَّهِجِ
61) تُرْزَقْ رِضْوَانَ اللَّهِ وَلَا	يَبْقَى فِي صَدْرِكَ مِنْ حَرَجِ
62) صَرِّحْ بِصَرِيحِ مَحَبَّتِهِ	وَبِذَلِكَ دِنْ لِتَكُونَ نَجِ
63) يَسْقِيكَ غَدًا مِنْ كَوْثَرِهِ	بِصَرِيحِ لَبَنٍ بِمُمْتَزِجِ
64) هَذَا نُصْحِي وَاللَّهُ يَقِي	أَعْمَالَ الْكُلِّ مِنَ الْعَرَجِ
65) وَإِلَى التَّحْقِيقِ دَعَوْتُ فَإِنْ	لَبَّيْتَ دُعَائِي تَبْتَهِجِ
66) وَإِلَيْكَ إِلَهِي مَسْأَلَتِي	أَنْتَ الْمُعْطِي كُلَّ الْحِوَجِ
67) مَوْلَايَ بِفَضْلِكَ فَاغْفِرْ إِنَّ (م)	الْمَوْلَى (بِالْإِفْضَالِ)(3) حَجِ
68) واصْفَحْ عَنْ عَبْدٍ مُعْتَرِفٍ	بِالذَّنْبِ بِعَفْوِكَ مُبْتَهِجِ
69) وَعَلَى مَنْ قَالَ مَقَالَ هُدًى	اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي
70) صَلَوَاتُ اللَّهِ مُرَدَّدَةٌ	تَقْوَى كَشَذَا الْمِسْكِ الْأَرِجِ
71) وَعَلَى الْأَعْلَامِ صَحَابَتِهِ	مَا ذَادَ اللَّيْلُ مِنَ الْبَلَجِ

3) في الاصل : بالفضل.

منفرجة أبي عبد الله المستحيي (*)

1) إشْتَدِّي أزْمَةُ تَنْفَرِجِي   فَالشِّدَّةُ تُؤْذِنُ بِالفَرَجِ
2) وَالعُسْرُ إذَا أعْيَى وَدَهَا   فَعَلَيْهِ قُدُومُ اليُسْرِ رَجِي
3) وَالخَطْبُ إذَا أرْدَى وَعَدَا   فَبِإنْسِهِ وَنَدُ البِشْرِ يَجِي
4) لاَتَجْزَعْ (خَسِي)(1) لِلْخَطْبِ إذَا   يَعْرُو، فَالجَازِعُ ذُو حَرَجِ
5) وَإذَا مَا شِئْتَ تَنَالُ مُنَى   فَاجْنَحْ لِلْخَيْرِ وَلاَ تَعُجِ
6) وَإذَا تَبْغِي تَرْقَى صُعُدًا   فِي الخُلْدِ إلَى أرْقَى الدَّرَجِ
7) فَابْذُلْ فِي تَقْوَى اللهِ غِنًى   وَعَلَى سُبُلِ الخَيْرَاتِ عُجِ
8) وَأدِمْ فِي البَابِ القَرْعَ فَمَنْ   يُدْمِنْهُ بِلاَ شَكٍّ يَلِجِ
9) وَاعْمِدْ لِلصَّبْرِ وَلُذْ بِرِضَى   مَا يَقْضِي اللهُ مَدَى الحِجَجِ
10) فَإذَا ظُلَمُ الأوْصَابِ دَجَتْ   فَالصَّبْرُ لَهَا كَسَنَا السُّرُجِ
11) وَإذَا لَيْلُ لِلْخَطْبِ سَجَا   فَرِضَاكَ كَصُبْحٍ مُنْبَلِجِ
12) لاَ تَشْكُ الدَّهْرَ وَسَطْوَتَهُ   فَالدَّهْرُ بِنَسْوِهِ ذُوو هَرَجِ
13) وَاخْلَعْ خِلَعَ الدُّنْيَا أبَدًا   تَرْفُلْ فِي بُرْدِ عُلَى بَهِجِ
14) (وضع)(2) الأشْجَانَ عَلَيْكَ حُلَى   تَنَلِ الأفْرَاحَ مَعَ اللَّهَجِ
15) وَاسْكُبْ دَمْعَ الأجْفَانِ تَشِمْ   ثَغْرًا لِلْبُشْرَى ذَا فَلَجِ
16) فَالرَّوْضُ إذَا سَقَّاهُ حَيَا   نَسَمَتْ أزْهَارُهُ بِالأرَجِ
17) يَا دُعْرَ الصَّبِّ وَقَدْ أمِنُوا   كَمْ ذَا يَصْلاَهُ مِنَ الوَهَجِ
18) حَرَبِي، طَرَبِي، حُزْنِي، شَجَنِي   كَمْ ذَا أَلْقَاهُ مِنَ الحَرَجِ
19) لَهْفِي أسَفِي وَجْدِي كَمَدِي   مَنْ لِي بِرِضَى فَأكُونَ نَجِ
20) (وَيْحِي)(3) سَعِدُوا لِلْخَيْرِ هُدُوا   وَأدِيلُوا الحُورَ مِنَ الهَمَجِ
21) وَرَدُوا التَّسْنِيمَ وَسَلْسَلَهُ   (وَحُبُوا)(4) بِالبِيضِ وَبِالغُنُجِ
22) (نَالُوا)(5) الرِّضْوَانَ فَيَا أسَفِي   نَهَضُوا وَشَكَوْتُ مِنَ العَرَجِ
23) نَهَجُوا وَقَفَوْتُ سَبِيلَهُمُ   نَهَدُوا وَمَشَيْتُ عَلَى عِوَجِ

(*) مذكرات ابن الحاج (مخطوطة الأسكريال رقم : 1734) : 38-39، صورة بمكتبة الدكتور عبد السلام شقور، مقابلة مع تحقيق برمبير.

1) في الأصل : أخي.

2) برمبير : وضع.

3) كلمة غير واضحة في الأصل ، تركت بياضا في تحقيق برمبير.

4) قرأها برمبير : وصبوا.

5) غير واضحة في الأصل، وبياض في تحقيق برمبير.

24) (فَازُوا)(6) وبَقِيتُ رَهِينَ أَسًى   مِنْ جُرْمِي أَسْبَحُ فِي لُجَجِ
25) مَا لِي أَمَلٌ حَاشَا ثِقَتِي   بِالإِلَاهِ يَصْفَحُ عَنْ لَجَجِي
26) بِرِضَاهُ أُرَجِّي مَغْفِرَةً   تَجْلُو قَلْبًا بِالخَوْفِ شَجِ
27) وَبِرَأْفَتِهِ يَمْحُو زَلَلِي   وَبِرَحْمَتِهِ يُعْلِي دَرَجِي
28) رُحْمَاكَ إِلَاهِي فِي وَجَلٍ   لِسَبِيلِ ضَلَالِهِ مُنْتَهِجِ
29) يَخْشَاكَ وَيَرْجُو مِنْكَ رِضًى   فَرِضَاكَ حَيَاةٌ لِلمُهَجِ
30) يَدْعُوكَ بِقَلْبٍ مُكْتَئِبٍ   وَلِسَانٍ بِالدَّعْوَى لَهِجِ
31) وَيُؤَمِّلُ مِنْكَ العَفْوَ عَسَى   يَلْقَاكَ بِبَهْجَةِ مُبْتَهِجِ
32) فَيُرَجِّي عَفْوَكَ عَنْ لَمَمٍ   فِي ضِمْنِ كَبَائِرَ مُنْدَمِجِ
33) لَا فَوْزَ سِوَى لِأَخِي كَلَفٍ   بِالطَّاعَةِ قَالٍ لِلُدَّجِ
34) فَاللَّيْلَ يَقُومُ لِبَارِئِهِ   وَيَبِيتُ إِلَيْهِ خَيْرَ نَجِ
35) يُذْكِي نِيرَانَ تَأَسُّفِهِ   وَيُسِيلُ دُمُوعًا كَالفَلَجِ
36) وَاليَوْمَ يُفِيضُ مَوَاهِبَهُ   مُتَدَفِّقَةً فَيْضَ الخُلُجِ
37) مَوْلَايَ حَنَانَكَ فِي كَمَدٍ   يَشْكُو بِالشَّوْقِ المُعْتَلِجِ
38) (مُهَمًّا)(7) هَاجَتْ ذِكْرَاهُ إِلَى   تِلْقَاءِ عُلَاكُمْ يَبْهَجِ
39) (صَلَوَاتُ اللهِ)(8) مُؤَرَّجَةٌ   تَنْدَى كَشَذَا المِسْكِ الأَرِجِ
40) (تُهْدَى لِمَقَامِ)(9) الرُّسْلِ وَمَنْ   بِهُدَاهُ نَسِيرُ عَلَى النُّهُجِ
41) وَعَلَى الأَبْرَارِ عَشِيرَتِهِ   أَزْكَى الرِّضْوَانِ مَدَى الحِجَجِ
42) فَبِحُبِّ عُلَاهُ وَحُبِّهِمُ   تَعْلُو وَتَقُومُ غَدًا حُجَجِي
43) فَأَنِبْ يَا قَلْبُ فُدِيتَ وَتُبْ   تَظْفَرْ بِالخُرَّدِ وَالدُّعُجِ
44) وَإِذَا يَشْجُوكَ الخَطْبُ اصْبِرْ   تَلْهَجْ فِي الخُلْدِ وَتَبْتَهِجِ
45) وَإِذَا تَشْتَدُّ الأَزْمَةُ قُلْ :   اشْتَدِّي أَزْمَةُ تَنْفَرِجِي

---

6) بياض في تحقيق برمبير

7) في الأصل : مهمى.

8) بياض في تحقيق برمبير تتلوه كلمه (إليه).

9) غير واضحة في الأصل، وترك بعضها بياضا في تحقيق برمبير.

المصــادر والمـــراجـــع

المخطـوطـات :

1- الشـواهد الواضحـة النَّهج على القـصـيدة المبشرة بالفرج . لابن رضـوان النجـاري مخطوطة الخزانة الحسنية (يعمل على تحقيقها أ. محمد الزيات بجامعة غرناطة).

2- مختصر شرح المنفرجة، لأبي العباس النقاوسي. (نسخة الخزانة الصبيحية).

3- مذكرات ابن الحاج النميري (صورة عن نسخة الأسكريال رقم 1734 بمكتبة الدكتور عبد السلام شقور).

المطبـوعــات :

1- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب. بتحقيق : عبد الله عنان. مطبعة الخانجي، القاهرة.

2- الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب (نصوص جديدة). بتحقيق الدكتور عبد السلام شقور. تطوان 1988.

3- الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، لأبي العباس أحمد الناصري. دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب ، 1954.

4- الإفادات والإنشادات ، لإبراهيم الشاطبي. تحقيق محمد أبو الأجفان. مؤسسة الرسالة، ط. 3 ، بيروت، 1408 هـ / 1988م.

5- ألف سنة من الوفيات، لأحمد بن قنفذ، والونشريسي، ،ابن القاضي. تحقيق د. محمد حجي. دار الغرب، الرباط.1396 هـ / 1976 م.

6- أوصاف الناس في التواريخ والصلات ، لابن الخطيب السلماني. تحقيق : د. محمد كمال شبانة. منشورات اللجنة المشتركة (المغرب -الإمارات)، مطبعة فضالة (ب.ت).

"الـموشح العـروس " مـوجـود

أ. سليم ريدان

كلية الآداب - منّوبة - تونس

من الموشحات التي كان لها صدى في تاريخ هذا الفنّ موشح لابن غزلة وسم " بالعروس". وهي تسمية تدلّ على الإعجاب. لكن شيوخ الأدب القدامى كابن سناء الملك والصفدي وابن الخطيب والحليّ، أهملوا روايته وسلّم الباحثون المحدثون بضياعه. وتعلّق به وبصاحبه خبر تردّد الباحثون بين التسليم بصحته والشك فيه [1] ووصفه ابن سناء الملك فقال : " المركب قفله من سبعة أجزاء " [2] وهو "الموشّح المعروف بالعروس، وهو موشح ملحون. واللحن لا يجوز استعماله في شيء من ألفاظ الموشّح إلاّ في الخرجة خاصّة، فلهذا لم نورد مثاله ". [3]

واستفدنا من الخبر المتعلّق به وبصاحبه أنّه موشّح تام استُهل بمطلع. وأثناء اطلاعنا على "عدّة الجليس "، استوقفنا موشح توفّرت فيه كل هذه الصفات إلا صفة التمام. فهو أقرع بدأ بدور.

والملاحظ أن المستشرق غرسية غومس قد وقف عليه في "عدة الجليس "، وحقّقه ونشره ضمن بحثه في الخرجات الرّومية ولم يلفت الانتباه إليه. ونقله عنه سيد غازي في "ديوان الموشّحات" [4] ونشره ضمن الموشحات المجهولة النسبة وحلّله عروضيا ورسم وزنه على النّحو التّالي :

الدّور : (فعولن مفاعيلن) x 4

القفل : (فعولن * مفاعيلن) x 3

فعولن مفاعيلن

وحسب هذا الرّسم فالقفل يتألّف فعلا من سبعة أجزاء. لكنّ اهتمام غازي بالوزن شغله فيما يبدو عن الانتباه إلى ملامح "العروس". وبدا لنا أنّه هو، وإن كان غياب المطلع ربّما أغرى

---

1) انظر مصطفى عوض الكريم، فنّ التوشيح. بيروت 1974. ص 136- 137 .محمد مصطفى عناني. الموشحات الأندلسية. الكويت 1980 ص 125.

2) ابن سناء الملك دار الطراز في عمل الموشحات. تحقيق جودة الركابي. دمشق 1949 ص 51.

3) دار الطراز ص 27.

4) سيد غازي . ديوان الموشحات. الإسكندرية 1979. II رقم 41 ص 657.

بالشكّ فيه. إلاّ أنّ الخبر المتعلّق بابن غزلة وبمضمون المطلع " وما يليه " [5] ربّما يبرر سقوط المطلع، وإن شكّ الباحثون في صحّة [6] الخبر. وهذا ما يدعو إلى النظر من ناحية في مدى صحّة الخبر وأهمّيته بالنّسبة إلى موضوعنا. ومن ناحية أخرى في مضمون «ما يلي» المطلع وهو الدور الأوّل من البيت الأول. وقد وصلنا.

وقد لاحظنا اختلافا في تحقيق الموشح عن مخطوط " عــدة الجليس " بــين أ . جونز و غرسية غومس. وهو ما دعانا إلى إعادة النظر في تحقيق نص الموشح على ضوء قراءتي المستشرقَيْن وخاصّة بالاعتماد على هوامش جونز.

أ - نــص الموشح [7]

(1)

أَبَــاحَ حِمَــى الصَّــبْ
ذُو [8] أَلتَّمْ فِــي الحُــبْ
فَظَلَّ مِــنَ الكَـــرْبِ
يَهِيــمُ بِــلا لُـــبّْ
مُـوَحَّـشْ بِـــهِ أَرَشْ
مُتَحَشْـشْ يُثِيـرُ [9] الغَشْ
فَأَجْهَـــشْ بُكَا [10] يَنْبَشْ
عَلَى السِّرْ مُسْتَفْشِشْ [11]

5)انظر الخبر فيما يلي.

6) عناني. الموشحات ص 125.

7) انظر ابن بشرى الغرناطي. عدة الجليس. تحقيق أ. جونز (A. Jones) أكسفورد 1992. رقم 349. (وقد أمدنا الأستاذ جمعة شيخة بنسخة منه مشكوراً) - سيد غازي. ديوان الموشحات اا ص 657.

8) أبْدَلَ جونز "ذو" بـ "بدر" ولم يذكر السّبب رغم أنّها واضحة في المخطوط حسب تعليقه. والملاحظ أن الوزن لا يستقيم بهذا الإبدال بأيِّ وجه من الوجوه. ولا يستقيم أيضا بقراءة فصيحة للعبارة "ذو التمّ" أي بإدغام الذال في التاء. لكن الموشح مزنّم ويمكن التصرف في أدائها. وذلك بتقصير حركة الذال وقطع همزة الوصل.

9) أخذنا بقراءة غرمس لوضوح معناها. وهي حسب جونز "يثير الغش" ولا معنى لها.

10) أخذنا بقراءة جونز على أنّ الكلمة مفعول "أجْهَشَ" من قولهم "أجهش بكاءً".

11) أثبت غرمس "سرمستفتش". وأخذنا بقراءة جونز لأنّه عودنا بملاحظة أي غموض في الخط أو أي تردّد في قراءة المخطوط. ولم يفعل ذلك بالنّسبة إلى هذه العبارة.

(2)

أَنَا فِـي الهَـوَى عـانِ
لِأحْـوَرَ فَتَّـــــانِ
رَمَـــانِي فَأصْمَـــانِي
بِأسْهُـمِ أجْفَـــــانِ
تَـرَيَّـشْ   بِغُنْجٍ حَبَّـشْ [12]
وَأفحَـشْ   حَشَا بِتَـــشْ [13]
تَعَطَّـشْ   بِـدَمْـعٍ رَشْ
عَلَـى الخَـدِّ مُسْتَعْـرِشْ

(3)

رَشَـا سَـامَنِي بِالصَّـدّْ
أسَـى قُوتِي قَدْ هَـدّْ
وَيَنْضِي لِثَأرٍ [14] خَـدّْ
لَـهُ نَاعِـمًا أمْـلَـدْ
يُخَمِّـشْ   إِذَا جَمَّـشْ [15]
وَيَخْـدِشْ   إذا أدهَـشْ

12) أثبت غومس "غاش " وهذا يغير القافية تماماً. أمّا جونز فقد علق عليها بأن الكلمة كما تبدو في المخطوط "حبش" فهي إذن تتركب من ثلاثة أحرف لا من حرفين كما أثبت جونز "حش". والسّياق الدّلالي يناسب ما ارتأيناه.

13) أخذنا بقراءة جونز لأنّه نبّه إلى الكلمة كما تبدو في المخطوط، وهذا لا يلغي إمكانية قراءة غومس "يفبش". وكل الغصن يبدو المعنى فيه غامضاً.

14) أثبت جونز " ويعطي لثأري". وأثبت غومس " ويعطيني لثم ". وعلق جونز أنها كذا في المخطوط وأشار محقّاً "ولعلّ الصواب هو مثل ينضي". ولا وجه لأيّ إمكانية التباس بين الثأر" و"اللثم" في الكتابة. ولا يستقيم الوزن إذا سلمنا به وأثبتناه مع فعل "يعطي" بدون ضمير المتكلم كما يشير إلى ذلك تعليق جونز. أمّا الالتباس بين "يعطي" و"ينضي" فليس مستبعداً. لذلك أثبتنا "ينضي" لأنّه استعارة تتلاءم مع معنى الثأر.

15) أثبت كل من جونز وغومس "حمش" بالحاء. ولا نرى وجها لمعناها. وما أثبتناه يتلاءم والمعنى الوارد في الخرجة. انظر الهامش رقم 21 ص 5.

وينقش   كما رَقَشْ [16]

طِرازَ رِياضْ الطَّشْ

(4)

بِوجْهِكَ أَسْتَشْفِ

مِنَ السُّقْمِ وَ اللَّهْفِ

فَلِمْ صُغْتَ [17] لِي حَتْفِي

بِصُدْغَيْكَ لِلْعَطْفِ

كَأَرْقَشْ   غَدَا يَنْهَشْ

وَيَبْطَشْ   وَقَدْ حَرَشْ

وَيَدْهَشْ   لِمَنْ يُوحِشْ [18]

مَشُوقًا بِهِ عَيَّشْ• [19]

(6)

وَخَوْدٍ بِنَهْدٍ غَضْ

كَرُمْحٍ إِذَا اسْتَعْرَضْ

بِهِ أُنْسٌ لِلْعَضْ

فِيهِ قُلْتُ أَعْرَضْ• [20]:

من حمش   كُن التانش

مَرْسيدشْ   كُن اللزمش

16) لا وجه لاستعمال صيغة المبني للمجهول "رُقِّشَ" كما شكل جونز. بيد أنّ فاعله هو " الطش" (= المطر) ومفعوله "طِرازَ رياض ". أمّا تعريف "الرّياض" عند غومس فيبدو من اجتهاده لاجتناب التنوين في حالة التنكير حتى يستقيم الوزن، لكن إلغاء التنوين من جوازات الشعر فضلا عن كون الموشح مزنما أمّا من حيث المعنى فالتعريف لا يضيف شيئًا ذا بال.

17) أثبت غرمس "جِئْتَ". بيد أنّ جونز نبّه إلى أن ما يبدو في المخطوط هو "صنت" مما يرجح قراءة جونز فضلا عمّا بين فعل "صُغْتُ" و "صدغيك" من تناغم.

18) أخذنا بقراءة جونز لأنّه لم يشر إلى أيّ لبس في المخطوط.

19) أخذنا بقراءة جونز لنفس السّبب السّابق. لكن نصب " مشوق" على المفعولية لفعل "يوحش "يبدو متأكّدا. وهو ما يرجح هذا الفعل على "يرعش" الذي أثبته غومس.

20) أثبت جونز " إذ عرض". وذكر في الهامش أنها في المخطوط " أعرض" وهي واضحة. ولا حاجة لإضافة "إذ".

أقوطـشْ   كُم اللنيــش

كما ننشْ   دا فـلامش"[21]

ب- أخبار حول الموشح وصاحبه

ليس لنا من أخبار حول ابن غرلة سوى ما تعلق باتجاهه في فن التوشيح، وبهذا الموشح ، وأهم ما ورد في هذا المجال نص لصفي الدّين الحلّي نورده رغم طوله لأهميته من عدّة جوانب " كان ابن غرلة الشاعر المغربي - وهو من أكابر أشياخهم - ينظم الموشح والزّجل والمزنّم : فيلحن في الموشح ويُعرب في الزجل تقصّداً منه واستهتاراً. ويقول : إنّ القصد من الجميع عُذوبة اللفظ وسهولة السّبك، وكان الوزير ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك، ولهذا لم يثبت شيئاًمن موشحاته في "دار الطراز".

فمن موشحاته المزنّمة الموشحةُ الطنانة المشتهرة الموسومة "بالعروس" التي نظمها عند عشقه رميلة أخت عبد المؤمن الكومي [22] ملك الأندلس، وقتله الملك بسببها لتوهمه من مطلعها وما يليه، اجتماعه بها، والواقعة مشهورة. وكان حسن الصورة جميل القدر ذا عشيرة، وكانت هي أيضا جميلة الخَلْق فصيحة اللسان تنظم فيه الأزجال الرائقة الفائقة..." [23]

ثم يورد الحلّي قسما من موشح آخر لابن غرلة مطلعه :

من يَصِيدُ صَيْدَا   فَلْيَكُنْ كَمَا صَيْدِي

صَيْدِي الغَزالـةْ   مِنْ مَرَاتِعِ الأُسْدِ

ثمّ يقول : " إنّه لما أخرجه الملك ليقتله نظر إلى الناس وارتجل بيتًا في الوزن يستنجد به عشيرته لأخذ ثأره :

خَدُّهَا الأَسِيـلُ   بَـدَتْ مِنْـهُ أَنْـوارُ

طَرْفُهـا الكَحِيـلُ   سُلَّ مِنْـه بَتَّــارُ

هَـا أَنـا القَتِيـلُ   فَهَلْ يُؤْخَـذُ الثَّـارُ

قَدْ أُسِرتُ عَبْـدَا   وَلَمْ أَكُ بِـالعَبْـدِ

مـتُّ لاَ محَـالَـةْ   فَـاطْلُبُوا دَمِي بَعْدِي [24]

---

21) أثبتنا هذه الخرجة عن غومس لبراعته بلغة الخرجات الرومية. ومعناها : "تجمش نهدي وتجرحه وتلهبه بمص يلذعني فيبدو كسنان رمح ملتهب" غازي، ديوان الموشحات II ص 659.

22) حرفت الرواية المشرقية هذه النّسبة إلى " الأموي".

23) عن م.م. عناني، الموشحات الأندلسية ص123 - 124 .

24) المصدر السابق ص 124.

هذه مجموعة أخبار جمعت بينها رواية الحلي. وبعضها مشرقي الأصل وهو موقف ابن سناء الملك من موشحات ابن غرلة. وبعضها أندلسي الأصل وهو :

1- مذهب ابن غرلة في فنّ التوشيح وقولته.

2- حبّه لرميلة ومقتله.

والرواية المشرقيّة قد تركت آثارها في هذين الخبرين. من ذلك نعت ابن غرلة "بالشاعر المغربي" [25] . وتحريف لقب عبد المؤمن (الأموي عوض الكومي). لكن الخبرين من أصل أندلسي. فالأوّل لأنّه ينقل إلينا قولة ابن غرلة. أمّا الثاني فأندلسيتهُ كامنة فيه خفية تحتاج إلى التحليل :

تستوقفنا في هذا الخبر المعلومة المتعلقة بمقتله. فالبيت الذي قيل لنا إنّ ابن غرلة ارتجله قبل موته هو من الموشح الذي ذكر الحلي بعض أبياته. لذلك لاحظ الراوي أنّ هذا البيت في "الوزن" نفسه، وهو ما يدلّ على أنّ هذا البيت سابق للخبر المتعلّق به. وأنّ هذا الخبر قد استمدّ من الموشح. وهذا " ما يغري بالشك في صحّة ما جاء في كتاب " العاطل الحالي" [26] على حدّ عبارة عناني. لكن مصطفى عوض الكريم يستنتج ممّا جاء في هذا الكتاب أنّ الحلي " يتحدّث عن شيء يعرفه حق المعرفة " [27] . فلا بدّ إذن من تجاوز هذا التناقض بين الباحثَيْن. وذلك بالنظر في هذا الخبر للتثبت من مدى صحته.

قلنا إنّ الخبر أندلسي لأسباب ثلاثة :

الأوّل هو أنّ شخصياته أندلسية.

الثاني هو أنّ الانفعال فيه ذات بعد سياسي في علاقة وثيقة بالمحيط الذي نشأ فيه الشاعر. فهو يحمل في ثناياه ملامح تجربة حضارية سياسية عرفتها الأندلس في عهد المرابطين والموحدين. فنواة الخبر وهو مقتل ابن غرلة على يد الموحدين ربما كانت صحيحة.

السّبب الثالث هو أنّ هذا الخبر ليس وحيداً من نوعه في تاريخ الأدب الأندلسي، ولنا منه نظيران على الأقل ذكرهما ابن حزم في طوق الحمامة. أحدهما تعلق بأسرة بني أمية. فقد "قتل أحمد بن مغيث" و "استُوصل آل مغيث بسبب تغزّله بإحدى بنات الخلفاء. ومثل هذا كثير" [28] .والنظير الثاني تعلّق بشعر قيل في التغزّل بصبح زوجة الحكم الثاني و "غنّت به جارية " [29] في حضرة المنصور بن أبي عامر تعريضا به.

والملاحظ أنّ هذين الخبرين والخبر المتعلّق بابن غرلة تشترك كلها في كونها ظهرت في ظروف كانت فيها السّلطة السّياسية حازمة صارمة تركن إلى السيْف في تعاملها مع الخارجين

---

25) هذه النسبة يطلقها المشارقة كثيراً على الأندلسيين وسواهم دون تمييز بين الأقطار المغربيّة.

26) عناني - الموشحات ص 125.

27) فن التوشيح ص 136- 137.

28) طوق الحمامة. ط. القاسمي تونس 1980 ص 76.

29) المصدر السّابق ص 76.

عليها. ممّا يدعو إلى توخّي التقية في الصراع واعتماد الإيحاء والتلميح دون التصريح، وهو ما يضمنه فنّ القص أو الشعر.

فهذا الخبر في مجمله يبدو من نسيج الخيال القصصي لكنّه في صلة متينة من ناحية بموشحات ابن غرلة وعلاقة الأندلسيين بالسّلطة الموحدية. فهذه الموشحات قد أمدت القصاص بعناصر كوّن منها قصّة من نوع قصص العشاق في "أغاني الأصفهاني" ولكنّ هذه العناصر قد استقطبتها علاقة الأندلسيين بالسّلطة الموحدية. فقضية ابن غرلة ليست مع عشيقته وإنّما صارت مع عبد المومن. فالنسيج القصصي قد رسم علاقة بينهما تتجاوز الفرد إلى الجماعة. فعبد المومن بربري كومي، بيده السلطة التي لا تكون إلا في " عصبية " حسب نظرية ابن خلدون، فهو غالب سياسيا وتجسّم ذلك في القتل. أمّا ابن غرلة فأندلسيّ " له عشيرة" من بني جنسه. واسمه ضارب في الأعجميّة. [30] وقد سلب لبّ أخت السّلطان – حسب الخيال القصصي – وأغراها منه جماله وفنّه حتى صارت تقول فيه الأزجال. فابن غرلة إذن غالب حضاريًا.

فهذا الخبر داخلت نسيجه رؤية أندلسية ترسم العلاقة بين الأندلس برقة حضارتها والسّلطة الموحدية الدخيلة عليها. وهو ما حملنا على اعتبار الخبر أندلسيا انطلق خيال صاحبه من عناصر تاريخية ثابتة هي مقتل ابن غرلة وموشحاته. ولكنّه وظفها لمآرب في النفس. واقتضى توظيفها إضافة عناصر هي أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع من نوع ما أضفاه على العشيقين من صفات.

لذلك يبقى هذا الخبر في نظرنا وثيقة ذات قيمة تاريخية من وجهة حضارية لا من ناحية واقعية أحداثه. وقيمته الأدبية تبقى ثابتة في شتى الحالات. وتكمن من ناحية في دلالته على خروج الموشح من حلقات الغناء ومجالس الأنس الضيقة إلى مجالات أرحب هي مجالات فنّ القصّ تستخرج منه أخبارا وتوظف عناصره سردا ووصفًا وحوارا على نحو ما وقع بالمشرق في الشعر والشعراء. وتكمن من ناحية أخرى فيما أمدنا به من معلومات دقيقة حول الموشح العروس خاصّة. وهو ما دعانا إلى الوقوف عنده طويلا.

وقد أفادنا هذا الخبر بأنّ هذا الموشح يبدأ بمطلع، وهو أمر لا شك فيه لأنّ الحلّيّ يعرفه، وقد اشتهر أمره بالمشرق. فلو كان خاليا من المطلع لما سكت الحلي عما ورد في الخبر من كون الموشح يبدأ بمطلع. وأفادنا أيضا بمضمون المطلع وما يليه. فقد كان مرجع صاحب الخبر فيما نسجه خياله من علاقة بين ابن غرلة ورميلة أخت عبد المومن. ولعل سقوطه في رواية ابن بشري كان بسبب هذا المضمون.

ولا نستبعد أن يكون ابن سناء الملك قد أهمل هذا الموشح جملة وسواه من موشحات ابن غرلة لسبب سياسي لا لكونها مزنّمة فحسب. فهذه الموشحات قد نسجت حولها أخبار تمس بالأسرة الموحدية الحاكمة وقد كانت في أوج نفوذها وتربطها علاقات بالدولة الأيوبية في مصر

---

30) يتردّد هذا الاسم بين اليهودية والمسيحية من حيث اشتراكه في المادة مع اسم الوزير اليهودي المشهور بغرناطة، ابن نغريلة. ومن حيث إمكانية علاقته بمادة " غرل " في العربيّة.

والتي كان ابن سناء الملك في خدمتها.[31]

سقط المطلع لكن " ما يليه " بقي ، وهو ما يمكن أن يساعدنا على مزيد التثبت من أنّ هذا الموشح الذي وصلنا هو " الموشح العروس " فعلا.

يحتوي الدور الأوّل من هذا الموشح في جزأيه الأوّل والثاني معنى الاكتمال في الحب بصفة مطلقة منسوبًا إلى الحبيبة في قوله "ذوالتم في الحبّ". ومعنى اكتمال الحب هو تبادل المحبّة والوصل وقد أشار الخبر إلى عنصر تبادل المحبّة في وصفه رميلة عشيقة الشاعر. وصفة التمام مصطلح دقيق الدلالة عند من نظر للحبّ. فابن داود الاصفهاني يقابل في كتاب " الزّهرة ". بين المحبّة " ما دامت لهواً ونظراً " والمحبّة " إذا وقعت على التمام في المصافاة "[32]. ويصف ابن حزم الوصل بكونه " كمال الأماني ومنتهى الأراجي "[33]. فإذا احتوى المطلع ما يشير إلى انتماء المحبوبة إلى بيت ملك، كان ذلك باعثا على ما "توهمه" الملك الموحدي بنفسه أو مُتَنَفِّذاً يساعد على الكيد لابن غرلة لدى هذا الملك أو مجالا خصبا لخيال القصاص يلحم به سدى قصته الغرامية فيعقد بينها وبين مقاصد سياسية.

والمهم أنّ الدور الأول من هذا الموشح الذي وصلنا فيه عنصر دلالي يطابق ما ورد في نص الحلّي عن " الموشح العروس " وينضاف إلى القرائن المتعلقة بالشكل، دليلا على أن ما أورده ابن بشري في آخر مجموعته إنّما هو " الموشح العروس " وصلنا أقرع وكان تامًا وهو ما قد يبرّر غفلة كبار الباحثين أو تغافل بعضهم عنه في العصر الحديث. لكنه حافظ على ما ينهض بتفرده بهذا الاسم وشهرته. وذلك من عدة جوانب أهمّها التركيب والوزن واللّغة. وهو ما نروم البحث فيه مستقبلا.

لكنّنا نحتاج في هذا المجال لإبداء بعض الملاحظات تتعلّق باللّغة في هذا الموشح. وممّا يدعونا إلى ذلك أن اللّغة هي سبب إعراض شيوخ الأدب عنه، هذا الاعراض فلعلّها من أسباب شهرته هذه الشهرة.

فابن سناء الملك قد أسقطه رغم أنّه كان مثاله الوحيد في الموشح المركب من سبعة أجزاء. والحلي ذكّر بموقف ابن سناء الملك منه وأكّد شهرته تأكيداً يلفت الانتباه[34]. لكنّه لم يروه، والسّبب في ذلك أنّه ملحون مزنّم.

على أنّ عديد الموشحات لم تخل من اللحن وقد وردت في عديد المصادر[35]. إلاّ

---

31) من ذلك أنّ صلاح الدين الأيوبي استنجد بالمنصور الموحدي في حروبه ضد الصّليبيين وراسله في الموضوع. واتصل به عن طريق مبعوث خاص هو شمس الدّين بن منقذ. انظر نفح الطيب I ص 444 - 445.

32) ابن داود الإصفهاني - كتاب الزّهرة - I ص 22.

33) ابن حزم - طوق الحمامة - ص 109.

34) انظر ما سبق ص5.

35) انظر على سبيل المثال : سيد غازي، ديوان الموشحات I ص 14 - قفل 1 و ص 31. ب 2 - ص 43 ق 2 - ص 418 ب 3 - ص 472 ق 1 - عدة الجليس رقم 293 ب 2 - رقم 172 ب 3 - رقم 347.

أنّ الترنيم في هذه الموشحات عرضي يتسرّب اللّفظ العاميّ تارة في الدور وتارة في القفل وأخرى في المقطع أو حشو البيت. أمّا في الموشح العروس فالترنيم حاضر في كلّ الأقفال. ولعلّ المطلع كان مرنمًا أيضا. وبصفة خاصّة فقد استأثرت العامية بالمقطع من كل الأقفال وتجاوزت الحيّز الذي حدده لها المنظّرون وهو الخرجة، وكانت هذه بالأعجمية.

فهذا الموشح قد تنازعته ثلاث لغات لتتوزّع على أجزائه حسب رؤية تفاضل بينها : الفصحى مجالها الأدوار وقد تمازج العامية في الاقفال. والعامية مجالها الاقفال والمقاطع منها خاصّة. والأعجمية في الخرجة.

فتوزيع اللغات في هذا الموشح قد خرج عما سنّه المنظّرون وهو أن تكون العامية والأعجمية في الخرجة لا غير، والفصحى في سائر الموشح. ولا شكّ أنّ بعضهم قد رأى فيه تجنّيا على الفصحى بامتزاج العامية بها في كل أقفال الموشح وحلولها في المواطن القارة منه، فضلا عن حضور الأعجمية وإن كان ذلك في الخرجة. ولم يبق للفصحى إلا الأدوار. و أمّا المطلع فلربّما داخله الترنيم أيضا فكان من أسباب سقوطه.

فتوزيع اللغات في هذا الموشح يبدو مقصودا يخضع لنظام واختيار. والترنيم فيه ليس عرضيًا. مّا يدلّ على أنّ هذا الموشح يمثل اتجاهًا في فن التوشيح يتميّز بتعدّد اللغات وتوزيعها فيه توزيعًا مخصوصا. وتخضع الرؤية الفنية فيه لقيم الإبداع لا لقيم النقد.

فهذا التوزيع ليس اعتباطيا ولا يكفي تبريره بما ورد في جواب ابن غرلة عندما سئل في الموضوع فقال : " إن القصد من الجميع عذوبة اللّفظ وسهولة السّبك . وليس هو "استهتاراً " (36). في معنى الفوضى كما حكم بذلك بعض شيوخ الأدب، ولكنه " تقصّد " في معنى القصد وتحدّي القيم الثقافية التي تستند إليها النظرية النقدية السّائدة في فنّ التوشيح.

فهذا الموشح يحقق رؤية فنّية تتنزّل فيها اللغات الثلاث على مراتب مخصوصة من زاوية الإبداع لا من زاوية النقد والتنظير. وهي رؤية تطابق ما بين الناطقين بكلّ منها من صراع ثقافي يستند كل طرف فيه إلى انتمائه الحضاري العريق. وتفقد فيها الفصحى أفضليتها وتبدو من زاوية قيم النقد في منزلة أقلّ شأنا من العامية والأعجمية . فبينما خصّها المنظّرون بحيز واسع هو كل الموشح ما عدا الخرجة مع إمكانية امتدادها إليها على شرائط، لم يكن نصيبها من هذا الموشح إلا الأدوار. وربّما تسرّبت إلى الأقفال ولكن في غير المواطن القارة منها. ولا حضور لها في الخرجة. وبينما حدد المنظرون للعامية والأعجمية حيزاً مضبوطا هو الخرجة فقد حلت من هذا الموشح في كل عناصره القارة.

فتوزيع اللغات في هذا الموشح يستخفّ بسنن النقد وما تستند إليه من قيم ثقافية صارمة. لذلك اعتبر مذهب ابن غرلة " استهتاراً ". وهو ما يكشف عن أبعاد إعراض المنظرين عن روايته. أمّا المبدعون فربما جاذبوه ولم يصمد إبداعهم في صراع القيم صمود هذا الموشح.

إنّه " العروس " زينة وبكارة وتوشيحا. وهو كذلك بتعدّد اللغات فيه وتوزيعها على هذا النّحو من النظام وتفاعل أساليبها وأجراس ألفاظها... نغمًا يستمد منه هذا الموشح ما به يخرج

36) انظر الخبر فيما سبق ص 5.

من حدود المحلية والقومية إلى آفاق العالمية والكونية. تلك التي تتجاوز الحدود لغوية كانت أو ثقافية أو غيرها... لذلك اشتهر هذا الموشح وساهم المعرضون عنه في شهرته وساعدونا على التعرف عليه. وقد أطلَّ علينا من وراء القرون بعد أن كاد يتلاشى مع " عدّة الجليس" في زوايا الاستشراق.



تطوّر الموسيقى العربية في المشرق وإسبانيا وتونس*

مقالة مهداة إلى السيّد البارون رودولف ديرلانجي

تعريب وتعليق : محمّد الأسعد قريعة**

تقديم :

هذه مقالة قيّمة لعلاّمة تونس المرحوم حسن حسني عبد الوهّاب (1884 - 1968 م) كان نشرها باللغة الفرنسية في أوّل القرن،وتحديداً سنة 1918 في المجلة التونسية Revue Tunisienne(***) (العدد 125، ص ص 106-117) وهو يَعْدُ في شبابه الباكر. ولئن تطوّرت المعارف المتصلة بالموسيقى العربية كثيراً مُنذ ذلك التاريخ، فالمقالة ما زالت تحافظ على قيمة تاريخية نادرة، وذلك لأنها نُشرت في زمن كان فيه الاهتمام العلمي بالموسيقى العربية وتاريخها يكاد يكون مقصورا على بعض كبار المستشرقين من أضراب الألماني كوزقارتن والفرنسي كرادي فو والأب رونزفال وغيرهم.

وتجدرُ الملاحظة هنا أن العديد من الآراء والمعلومات التي أوردها المؤلف على أنها حقائق ثابتة أصبحت - في ضوء المعارف الحديثة - تحتاج إلى المناقشة والمراجعة. وقد رأينا اجتنابًا لإثقال الهوامش أن نكتفي - للتنبيه إليها - ببعض الإشارات الخاطفة مع الإحالة إلى المراجع والدّراسات المناسبة، حتى تكتمل الفائدة.

تنبيه :

ضُبطت إحالات المؤلف على هامش النص بالأرقام العربية، في حين أثبتت إحالات المُعرّب بالأرقام الهنديّة، وأدرجت في آخر النصّ.

(*) Le développement de la musique arabe en Orient, Espagne et Tunisie (Dédié à M. le Baron Rodolphe d'Erlanger) .

(**) مدير المركز الوطني التونسي للموسيقى والفنون الشعبية.

(***) دورية تصدر بتونس كلّ شهرين، أسسّت سنة 1894 من قبل "معهد قرطاج" (الجمعية التونسية للآداب والعلوم والفنون).

نصُّ المقال :

لقد أثرت الموسيقى - على مرّ الأحقاب - تأثيرا كبيراً على الشرقيين بصورة عامّة، والعرب منهم بالخصوص ، وذلك بسبب المزاج الحسّاس لأحفاد إسماعيل من جهة، والمناخ الخاص بالبلدان التي يقطنونها ، من جهة أخرى.

وقد نقل إلينا المؤرّخون العديد من أسماء ضروب الغناء المنتشرة لدى عرب الجاهلية. وكان لكل نوع من هذه الألحان طريقة معينة mode ومناسبة خاصة يُغنّى فيها. فتجدُ على سبيل المثال : غناء الحرب والنّواح وغناء الأفراح وغناء المحبّين وغناء الركبان[1] والحُداءُ وهو غناءٌ يحثّ البعير على السّير[2] وغناء الفرسان[3]، إلخ... وللأسف، لم تصلنا ألحان هذه الأغاني، ولم يبلغنا منها إلاّ الإيقاع والوزن وذلك من خلال العروض الشعري[1].

وغيرُ مستبعدٍ أن يكون هذا الغناء قد نشأ في سهول بلاد ما بين النهرين، مهد السامية، كما يُعتقد أن لمصر الفرعونية نصيبا في هذا التأثير البعيد على الغناء البدائي لشمال الجزيرة [العربية]، لكنّنا نعلم أن سكان شمال الجزيرة سيطروا لفترة طويلة على ضفاف النيل (من 2214 ق م إلى 1703 ق م)، كما أنهم عُرفوا لدى الإغريق باسم "الهيكسوس" [Hyksos] (الملوك الرّعاة)، واسم " الشازو" [Les Chasus] في اللّغة المصرية المقدّسة.

ومن المؤكد أنه كان للهيكسوس دور هام وخطير في تكوّن القبائل العربيّة الإسماعلية (الحجاز، صحراء سورية، نجد)، وذلك بعد انحلال سيطرتهم على مصر، وعودتهم للاستقرار في شمال الجزيرة (شبه جزيرة سيناء، مديَن). ولا شك في أن هؤلاء الهيكسوس أدخلوا معهم قسطًا هامًا من الحضارة، ويبقى مجال البحث مفتوحًا لتحديد مدى هذه المساهمة وقيمتها. وتجدر الإشارة هنا إلى أن اللّغة التي يتكلّمها هؤلاء الأقوام - وهي لُغةُ العرب العاربة - [Proto-arabe] كانت تُكتَبُ بالأحرف الآرمية (المشتقة من البابلية)، مثلما تثبتُه الكتابات العديدة المحفوظة في الرّقيم والحِجْر، قرب مدائن صالح وتيماء، إلخ[4]...

قبل ألف عام من ميلاد السيد المسيح ، نلاحظ وجودَ مملكة قوية في جنوب الجزيرة (اليمن وحضرموت)، وهي مملكة مَعين التي وصلتنا منها كتابات هامة. وفي هذه الفترة، يَذكُر الآشوريون - أثناء صراعهم مع المصريين - العَربَ، وكانوا يُسَمّونهم " أريبي [Aribi] في النصوص المسمارية.

---

1) نوع من الغناء يُسَمّى أيضًا " النّصب".

2) يبدو أن الحداء هو أقدم غناء عرفه العرب.

3) غناءٌ يُوَقّعُ على وقع حوافر خيل السّباق.

4) DOUGHTY : Documents épigrap., recueillis dans le nord de l'Arabie, Paris, 1983.

وقد كانت ممالك الجنوب المتعاقبة التى اتخذت عواصم لها مدينة مأرب ثم سبأ ثم شبوط ثم عدن فصنعاء، على علاقة متصلة بالممالك العظيمة المعاصرة (آشور، إسرائيل، يهودا، فارس، اليونان، مصر، الحبشة).

ونذكر جيّداً تلك القصة الطريفة المذكورة في القرآن الكريم والتي جمعت بلقيس ملكة سبأ بالنبي سليمان ملك أورشليم.

وقد تأثر سكانُ الجنوب - ويُعرفون باسم قحطان أو الحِمْيَريّين (فيما كان يُسَمّى أهل الشمال عدنان أو أحفاد إسماعيل) أيّما تأثّر بجيرانهم في الشرق (الفرس والكلدانيّين)، وفي الشمال (الإغريق والعبرانيين)، وفي الغرب (المصريين)، وخاصّة فيما يتّصل بالآلهة والمعتقدات، كما أنّهم أثّروا فيهم بدورهم [5].

غير أن الحضارة التي ازدهرت لقرون عديدة في جنوب الجزيرة العربية، تختلف كثيراً عن مثيلتها في الشّمال سواءٌ في اللّغة والكتابة أو في المعتقدات والعمران. ونجدُ هذا الاختلاف [بين الجنوب والشمال] قائماً إلى يوم الناس هذا في لهجة التخاطب والطّباع، وحتّى في الموسيقى: فأنواع الغناء المسماة بالـ "يَمَنِي" لا تمتّ بأية صلة بالألحان المنتشرة لدى بدو نجد والحجاز.

وقد كان لليمن - موطن العطر والبخور - أثرٌ في تكوُّن مجتمع شمال الجزيرة: فالأغاني الحربية في ملحمة سيف [ابن] ذي يزن - قاهر الحبش - أخذت طريقها باكراً إلى الحجاز حيث استقرّت وانتشرت بين النّاس. ومن جهة أخرى، كانت لكُبرى قبائل الجنوب (لخم وتنوخ وذُبيان) مساهمة كبيرة في تأسيس المناطق الحضريّة وتعميرها في نجد والحجاز، وكذلك في تطوير الحركة الأدبية بها، وذلك بُعَيْدَ هجرة هذه القبائل باتجاه الشمال نتيجة تهدّم سدّ مأرب الشهير (سيل العريم، حوالي 250 ق.م.). ونحن نعرف أن لغة هذه القبائل وغِنَائَهَا يختلفان بصورة جليّة - إلى حدود ظهور الأسلام (622م) - عن لغة العرب الإسماعليين وغنائهم - وسنرى فيما يأتى من الحديث أنّ شطرا من هذه القبائل انتقل إلى إفريقية مع الفتوحات العربية.

ولم يمض وقتٌ طويل على ظهور الإسلام حتّى وجدَ العربُ أنفُسَهم على اتصال مباشر بالرّوم والفُرس والأقباط الذين كانوا على درجة عالية من الحضارة الراقية. فأخذ العربُ عنهم موسيقاهم قبل أن يأخذوا علومَهم ومناهجهم، وذلك لسبب بسيط وهو أن الموسيقى والغناء لا يتطلّبان ترجمة مُؤلفات أو مجهودات لِفَهْمِهَا [2].

وتروي كتب التراث أن المولى المكّي سعيد بن مسجح هو أولّ من أدخل الغناء الأجنبي

---

5) أذكر بالاكتشاف الهام الذي قامت به مؤخرًا بعثة أثرية في دلفس Delphes باليونان، والذي أخرج إلى النور كتابات هامة باللغتين الحميرية والإغريقية القديمة.

إلى مكة. تمكن هذا المولى الذي عاش في القرن 1 هـ / 7 م (حوالي 75 / 694) بسماع إلى غناء العمال الفرس الذين كانوا يشتغلون في إعادة بناء الكعبة. فيحاكيه بصوته الجميل. ولما أنس في نفسه الميل إلى هذا الغناء وسرعة تقبله له، سافر إلى سورية وبلاد فارس حيث تعلم الضرب على عديد الآلات الموسيقية وحفظ الكثير من موسيقاهم. يقول أبو الفرج : " ثم قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم، وألقى ما استقبحه من النبرات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب وغنّى على هذا المذهب. وكان أوّل من أثبت ذلك ولحّنه وتبعه الناس بعد ذلك" (6) (٣). ويروي أبو الفرج أيضا أن إسحاق الموصلي، موسيقيّ البلاط العبّاسيّ المشهور، كان يقول في بداية القرن الثالث للهجرة : " أوّل من غنّى هذا الغناء العربيّ بمكة ابن مسجح" (7). ويذكر الهشامي، وهو موسيقي معاصر للموصليّ، أنّ ابن مُسجح "هو أول من غنّى الغناء العربيّ المنقول من الفارسي" (8). وأخيرا، يقول صاحب الأغاني : " ابن مسجح ... أوّل من صنع الغناء ونقل غناء الفرس إلى غناء العرب". (9) ولدى عودته من أسفاره استقر ابن مسجح بمكة، حيث اقتدى به الكثيرون وتعدّد تابعوه.

ومن بين تلاميذه يجب أن تذكر مسلم بن محرز، وهو أيضًا من موالي مكة، من أصل فارسيّ. وينسبُ صاحب " الأغاني" لابن محرز نفس المآثر تقريبا التي كان نسبها في موضع آخر لابن مسجح، فيقول : " ثم شخص إلى فارس فتعلم ألحان الفرس وأخذ غناءهم ثم صار إلى الشام فتعلم ألحان الروم وأخذ غناءهم، فأسقط من ذلك ما لا يستحسن من نغم الفريقين وأخذ محاسنها، فمزج بعضها ببعض وألف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب، فأتى بما لم يسمع مثله... " (10).

ويبدو - بناءً على ما تقدم - أن ابن مسجح لم يرسِ لوحده النظام الموسيقي العربي للقرون الأولى للهجرة، وإنما شاركه فيه مُعاصِرهُ وتلميذه ابن محرز، أو على الأقل، ساهم في توطيد هذا النظام وتثبيته.

وقد يكون من المفيد أن نضيف هنا أنه قبل ابن محرز، كانت الأبيات الشعرية تُغنّى على حدة ! (isolement)، بمعنى أن اللحن لا يشملُ الا بيتا واحداً من الشعر، ثم يُعاد بعينه بعدد الأبيات المغناة. ويبدو أن مَردّ هذه الطريقة البدائية التي تُظهر الحدود الضيّقة للفن الموسيقي في ذلك العصر، يعود إلى أن البيتَ - في الشعر العربي - يشتمل عادة على فكرة كاملة، ولا

---

6) أبو الفرج الإصفهاني : كتاب الأغاني، ط. القاهرة، 1285 هـ ج I، ص. 194 (انظر تعليق المعرّب في الهامش عدد ٣).

7) الأغاني، I، 193.

8) الأغاني، I، 195.

9) الأغاني، I، 194.

10) الأغاني، I، 62.

يُمكن أن تُلحَقَ كلمة لازمة للمَعْنَى بالبيت المُوالى، وهذا ينطبق على الشعر اللاتيني وحَتَّى الفرنسي.

وابن محرز هو أوّل من غنّى بزوج من الشعر وعَمِل بعد ذلك المُغَنُّونَ اقتداءً به، وكان يقول : " الأفراد لا تتمّ بها الألحان" [11].

عندما انتقل مقر الخلافة إلى دمشق، أصبح العالم العربي على اتصال مباشر بعناصر عرقية كثيرة التنوّع : السريانيّون والعبرانيون والرّوم والأقباط والفرس، إلخ... وكان لا بد من أن يساهم كل واحدٍ من هذه الشّعوب - بقدر معارفه - في تَكُّونِ المجتمع الجديد، وذلك بما لديه من فنّ أصيل وتميُّز ينفردُ به. وبهذه الطريقة، بدأت الترجمة العربية للمصنّفات الأدبية والعلمية، وأدخل الوافِدُون الجدد على الإسلام إلى المجتمع الجديد فنونَهم، ومن ضمنها الموسيقى التى حاولوا أن يجعلوها منسجمة مع خصوصية لغة القرآن الكريم.

ويمكن الجزم بأنه بداية من النصف الثاني للقرن2 هـ/ 8 م، أصبح للمجتمع العربي في المشرق موسيقى خاصة به من أصول مختلفة، ولكنها مبنية على قواعد علمية، اذ نلاحظ في هذه الفترة أن الموسيقى تمثل فنّا مستقلاً.

وقد كان يونس بن سليمان الكاتب - وهو مولي من أصل فارسي - أوّل من حاول ضبط قواعد الموسيقى الجديدة في كتاب ضاع للأسف، مثلَ جُلّ كتابات هذه الفترة، وعنه يقول أبو الفرج : " وكتابه في الأغاني (...) هو الأصل الذي يُعمل عليه ويُرجَعُ إليه" [12].

وسار عديد المؤلفين على نهج يونس، ويكفي أن نذكر منهم اللّغوي الكبير الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى180 / 796 الذي ألّف كتابًا هامًا في النغمات المختلفة، حدّد فيه طريقة كل لحن وأجزاءه وأقسامه. ومن جهة أخرى، كتب يحي بن أبي منصور الموصلي رسالة في كيفية استخدام الآلات الموسيقية الموجودة وقتها، وبصفة خاصة آلة العود. كما جمع عدد آخر من الكتّاب الألحان القديمة والمستحدثة في رسائل مستقلة. وقد درج كل فنّان قدير وصل إلى الشّهرة على ابتكار ألحان جديدة تُضاف إلى الرصيد القديم. ويُحكى أن يحيى بن مرزوق المكيّ جمع اثني عشر ألف صوت في مؤلف أهداه إلى الوزير العباسي محمد بن طاهر، فجازاه هذا الأخير بثلاثين ألف درهم (حوالي 30000 فرنك).

ويقيت هذه الطريقة متّبعة إلى حين ظهور إبراهيم الموصلي وابنه إسحاق، وهُما موسيقيان

---

11) الأغاني، I، 62.

12)الأغاني، IV، 114. انظر : COUSSIN DE PERCEVAL : Notices sur les principaux musiciens arabes des trois premiers siècles de l'hégire, Journ.Asiat. 1873, p.397.

مشهوران أعطيا للفن الموسيقي دفعًا جديداً، وقد تميّز إسحاق بصورة خاصة بابتكاراته الرائعة ويُقال أنّه كان أوّل عربي يستخدم التخنيث[13].

المذهب القديم والمذهب الجديد : (Mode ancien et nouveau mode)

من البديهي أن الموسيقى العربية بلغت درجة عالية من الإتقان في عهد الخليفتين العباسيّين هارون الرشيد والمأمون. وقد تميّز هذا العصر بالفكر التحرُّري الذي كا يظهرهُ حكامُ بغداد وكذلك تشجيعهم على دراسة المؤلفات الأجنبية والفنون والآداب. وكان الأُمرَاءُ أنفسهم يُعطون المثَل : فقد أسّس إبراهيم بن المهدي ، أخ هارون الرشيد وأحد أقدر الموسيقيين، مذهبا جديداً في الفن الموسيقي ينبنى على تبسيط الأصوات القديمة بجَعْلها أكثر لُطفًا وأقلّ ثقلا، ممّا يَضَعُها في متناول الجمهور. ومثلما هُوَ منتظر، أحدثت هذه الطريقة بلبلة لدى الموسيقيّين المعروفين في ذلك الوقت وخاصة المَوْصِليّيْن غير أنّه، وبالنّظر إلى بساطتها، لاقت هذه الطريقة انتشارا لدى الجمهور، وعُرفت بالمذهب الجديد (Nouveau mode)، مقارنة بطريقة الموصليَّيْن التي بَقِيَتْ تُمثّل النمط الكلاسيكي[4]. وكان إبراهيم بن المهدي يَرُدُّ على منتقديه من بين أرباب الصناعة قائلا "إنّي أمير، وأغني كما يحلو لي"، قاصداً بذلك أنه لا يُريد أن يتقيّد - في الموسيقى - بأية قواعد.

وقد ظهر في هذه الفترة كتاب ضخم في الموسيقى يمتاز بالوضوح والدقة، وهو "الآداب الرفيعة" لعبيد الله بن طاهر، إلاّ أنه بقي للأسف مفقوداً.

في العصر العَبّاسي الثاني (القرنين 4 / 10 و 5 / 11) ازدهرت العلوم والآداب والفنون لدى الشعوب الإسلامية في المشرق والمغرب، فلم يبق هذا الازدهار مقصوراً على جانبي دجلة والفرات أو بلاد الشام، وإنّما تعدّاه إلى مصر والمغرب (شمال إفريقيا) والأندلس. وإذا كان صحيحًا أن العالم الإسلامي فَقَدَ وحدة الحكم بعد انحلال سلطة الخلافة، إلاّ أنه شهد في المقابل تطوُّرًا فكريا في مختلف الأقاليم. فبعد استقلاله، أصبح كلُّ واحد من هذه الأقاليم يعيش بطريقته الخاصّة، وينفرد بخصوصية فنية مُتميِّزة. وقد أعطت هذه الإمارات النَشِطة المستقلّة دفعًا جديداً للعلوم والفنون، وساهمت -كُلٌّ على حِدة - في تشييد هذا الصرح الذي يُسمَّى : الحضارة الإسلامية.

وقد واصل العراق، وعاصمته بغداد، تمثيل محور الحياة الفكرية الذي تدور حوله الأقاليم السوريّة والمصريّة. وهناك (في بغداد)، ظهر الكنديّ (أبو يوسف إسحاق بن يعقوب) الملقب بفيلسوف العرب (حكيم العرب). وقد ترك هذا العالم الكبير آثاراً عديدة ومتنوّعة، سوف لن نذكر منها إلا سبعة مؤلفات خاصة بالموسيقى، لم يصلنا منها إلاّ رسالة واحدة محفوظة في

13) الأغاني، I ، 350. ر. Journ. Asiat, 1873, Loc.cit.

مكتبة برلين[14] (٥). وباتجاه الغرب، وفي سوريّة بالذات، ظهر الفارابي (أبو نصر محمد بن طرخان)، وهو من أصل فارسي، ولكنه ذو ثقافة عربيّة. وقد امتاز الفارابي بحسّه العلميّ العالي الذي ظهر في معرفته العميقة بالفلسفة الأفلاطونيّة الحديثة والموسيقى.

بل إن الفنّ الموسيقي يدين له - على حدّ قول بعضهم - باختراع آلة القانون (٦). ويُروَى أنه عندما حضر لأول مرة مجلسَ غناء في بلاط سيف الدولة - أمير حلب - سأله بعض الحاضرين من الموسيقيين إذا كانت له معرفة بالموسيقى. وكان رَدّه أن أخرج من صندوق كان معه بعض القطع الخشبية التى سرعان ما ركّبها بطريقة مُعيّنة، ثم طفق يعزف ألحانا تَلَوّى لها الحضور من فرط الضحك. ثم فكّ هذه الآلة الغريبة وأعاد تركيبها بطريقة مغايرة، وعزف عليها ألحانا أخرى بَكى لها الجميع. ولمّا أعاد تركيبها مَرّة ثالثة وعزف عليها، دَبّ النعاس في أجفان كل الحاضرين، وراح الجميع يَغُطون في سبات عميق-بمن فيهم حُرّاس القصر - فتركهم نِيامًا وخرج دون أن يفطن له أحد!

في الوقت الذي كان فيه المشرق يتألق بفنّانيه المشهورين البارعين كان المغرب الإسلامي، من جهته، يسعى ويبلغ درجة من الحضارة لا تقل روعةً. ويبدو أن أوّل من نقل الفن الموسيقي العربي إلى إسبانيا- هو الموسيقي الكبير زرياب (أبو الحسن علي بن نافع)، تلميذ إسحاق الموصلي (٧). وقد انتقل زرياب إلى البلاط الأموي لمّا استحال عليه منافسة أستاذه في بغداد، فلقي الترحيب والتبجيل من قبل أمراء الأندلس بفضل جمال صوته ومعرفته العميقة بأصول الموسيقى. ويُنسَب إليه بالخصوص فضل إضافة وتر خامس أحمرَ اللّون إلى العود (٨). وهو أيضا أوّل من استعمل ريشة من قوادم النسر مستعيضًا بها عن قطع الخشب التي كانت مستعملة حتى ذلك الوقت[15].

ومهما يكن من أمر، فقد أسّس زرياب مدرسة قائمة بذاتها في إسبانيا، أصبحت فيما بعد مزدهرةً عظيمة الشأن، وصار تلاميذه -رجالاً ونساءً- يُعَدّون بالمئات. ولم تلبث إشبيلية أن أصبحت مشهورة بصناعة الآلات الموسيقية[16]. ونحن نعرف أن الأندلسيّين ابتكروا عديد

14) انظر : ابن النديم : كتاب الفهرست، ط فلوجل لايبزيج، 72-1871، ص 255.
-BROCKELMANN, Geschichte der arabischen litteratur, Weinar, 1898, vol.I, p .209.

15) انظر : المقري : نفح الطيب ط. القاهرة، 1902، ج .II، ص 109 وما بعدها : "كان للعود أربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الأربعة فزاد عليها زرياب وترا خامسا أحمر متوسطا ولون الأوتار طبقها على الطبائع. وهو الذي اخترع مضراب العود من قوادم النسر وكانوا قبله يضربون بالخشب".

16) يقول المقري (المرجع السابق، ج .II، ص151): "كان يُصنع بإشبيلية من أصناف أدوات الطرب كالخيال والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمؤنس والكنيرة والزلامي والشقرة والنورة وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه والبوق، وإن كان جميع هذا موجوداً في غيرها من بلاد الأندلس، فإنه فيها أكثر وأجود، وليس في بر العدوة (شمال إفريقيا) من هذا شيء إلا ما جُلب إليه من الأندلس".

التوالب في الموسيقى العربية، إلاّ أن الابتكار الأكثر جدارة بالتنويه هُوَ قطعًا فن الموشّح. ولم يلبث هذا الضرب من الشعر الرقيق أن انتقل إلى ما يلي جبال البرانس ليصل إلى أوروبا الجنوبية حيث ولع به المُنشدون والتروبادور، وهو بعينه L'ottave rime في العصر الوسيط الأوروبي. وحسب ابن خلدون[17]، فإن مخترع الموشح هو عبادة القزاز، وهو شاعر ضرير كان يتكسّب من التنقل بين القصور منشداً موشّحاته اللّطيفة المرحة[18].

أمّا الغناء المُسمّى "بالأندلسي" أو الغرناطي" (المالوف في تونس) فهو حديث العهد نسبيًا، ولا يعود في الواقع إلاّ إلى عصرضعف القوة الإسلامية في إسبانيا. وقد أخذ هذا الغناء شكل الموسيقى الكلاسيكية في بلاطات ملوك بني نصر وبني الأحمر في غرناطة، ثُمّ -وبصورة أخص- بعد طرد المسلمين من شبه الجزيرة الإيبيريّة.

في شمال إفريقيا، لم تبق القيروان - عاصمة إفريقية- بعد استقلالها عن الخلافة العبّاسية دون أخواتها في المشرق، (بغداد، حلب، دمشق، القاهرة) أو في المغرب (قرطبة، إشبيلية، غرناطة)من حيث النشاط الفنيّ والفكريّ. فبحلول القرن الرابع للهجرة، ظهرت خلافة إفريقية مع العُبيديّين أو الفاطميين، وكانت القيروان والمهدية -بالتناوب- مركزيْ هذه الدّولة. وهُنا أيضًا، كانت البلاطات الأميرية قبلة العلماء والفنّانين المشهورين. وفيما يتّصل بالموسيقى بالذّات، نري عبيد الله المهدي، مؤسس الدّولة التي حملت اسمه، يشمل بعنايته وإحسانه مؤنس البغدادي الملحّن المشهور الذي وضع أُسُس المدرسة المغربيّة. وتُوفّيَ مؤنس هذا بالمهدية سنة 314 / 926م[19].

ولم يكد يَمُرّ سوى قرن ونصف حتّى حلّت الكارثة التي قلبت رأسا على عقب المجتمع الإفريقي. فقد زحف حشد فوضويّ من الرُّحّل القادمين من ضفاف البحر الأحمر، فنهبوا كلَّ شيء في طريقهم ولم يتركوا شيئا إلا خرّبوه، وسقط رونق القيروان والمنصورية ورقادة أمام هذا الجمع الهائل من المتوحّشين سنة 449/ 1057.

ومع ذلك، صمد السّاحل التونسي، وأصبحت المهديّة مقرا للسّيادة الوطنيّة، وحافظت

---

17) ابن خلدون ، المقدمة، تر.دي سلان - De SLANE، باريس ، 1865-68، ص. 422: أنظر أيضا : M. AMARI: Storia dei Musulmani di Sicilia, Firenze, 1854-72.

18) سأدوّن هنا، من باب الطّرافة، هذا المطلع لموشح نظمه الشاعر المذكور :

بَدرتم * شمس ضحا* غصن نقا* مسك شمّ
مَاأتـم*ماأوضحـا *ماأورقـا*ماأنـم
لاجـرم * من لمحـا * قد عشقـا * قد حرمْ

19) ابن عذاري، البيان المغرب، تر. فنيان E. FAGNAN ، الجزائر، 4 - 1901 ، ج I : 273.

على الحركة العلمية والأدبية لإفريقية. فهنالك كان ملاذ أصحاب الفكر والعلماء، كما عاد الشّعر والفنون إلى الازدهار بفضل الحماية والرّعاية التي كان يوفّرها آخر الأمراء الزّيريّين، تميم ويحي وعلي. وكان عدد من كبار العلماء الباحثين عن الحماية، يلتجئون إلى بلاط هؤلاء الملوك التّعساء، والمغرمين بالفنون، والذين كان قدرهم أن يواجهوا الأعراب الهلاليّين في الدّاخل وملوك صقليّة النورمانديّين في الخارج.

وفي هذا الوقت بالذّات ظهرت في المهديّة شخصيّة فذّة وظريفة متمثّلة في شخص أبي الصّلت أميّة بن عبد العزيز الإشبيلي، وقد كان طبيبا وفيلسوفا وفلكيا وشاعرا وموسيقيّا. وُلد بدانية في الأندلس سنة 460 / 1067 وجاء للاستقرار بالمهديّة، حيث أصبح أمين سرّ الأمير الزّيري يحيى ابن تميم. ولما أرسله هذا الأخير سفيرا له إلى مصر، بقي محبوسا في مكتبة القاهرة طيلة عشرين سنة على ما يُرْوَى[20] . ولدى خروجه من هناك، وقد أصبح عالمًا كبيرا[٩]، عاد إلى المهدية حيث استقبله الأمير علي بن يحيى بغاية التبجيل والإكرام. وقد صنّف أبو الصّلت (ت. 546 / 1151) لهذا الأمير مؤلفات عديدة متميزة في علم الأجْرَام والطّب والتاريخ المعاصر والأدب والموسيقى. ويقول عنه المؤرخ الكبير ابن سعيد الغرناطي : "وعنه أخذ أهل إفريقية الألحان التي هي الآن بأيديهم)[21].

وفي رأيي المتواضع، المقصود هنا هو الموسيقى المستعملة لدى سكّان المدن التّونسيّة لأنّه كانت دوما لأهل الرّيف والبدو والرّحل السّاكنين تحت الخيام موسيقى خاصّة بهم، بعيدة كلّ البعد عن الموسيقى التي تحدّثنا عنها آنفا. ويمكن الجزم بأنّ أغاني البدو - على غرار لهجتهم - هي من أصل مختلف تماما. وإلاّ بماذا نفسّر الاختلاف الظاهر لكلّ أذن موسيقيّة بين هذين الضّربين من الغناء ؟ وقد كان ابن خلدون - المؤرخ التونسي الكبير - من الأوائل الذين تفطنوا إلى هذا الاختلاف وبيّنه بأمثلة مختارة ضمّنها مقدّمته الشّهيرة لمؤلّفه في التّاريخ. فقد أبَانَ لنا التّماثل القائم- من النّاحية اللّغوية - بين لهجة العرب الهلاليّين النّازحين إلى إفريقية وأغانيهم الملحميّة، وبين ما هو موجود لدى بدو حُوراَن في العراق، ومردُّ ذلك إلى أن هؤلاء وأولائك هم في الواقع إخوة ترعرعوا في نفس المهد : الحجاز. فهل يجبُ أن نستخلص من هنا أن كلّ الأغاني البدويّة التّونسيّة (الطّرق، القسيم، الملزومة، إلخ) تعود إلى أصل حجازي ؟ قطعاً لا ، فالجانب الأوْفَر من القبائل العربيّة التي استوطنت المغرب الأوسط قدم من الشمال الغربي للجزيرة العربية (هلال، سُلَيْم، زغبة، رياح، هُذَيْل، إلخ) .ثمّ إنّ الهجرات العربيّة السّابقة للزّحف الأكبر في سنة 449/ 1057 كانت من كلّ مناطق الجزيرة (من الشّرق : تَمِيمَ وطَيٍّء وأزْد وعَبْس - ومن الجنوب :

---

20) ابن سعيد، كتاب المغرب، مخطوطة أكاديمية التاريخ بمدريد، رقم 80، الورقات 119، 120.

21) المرجع نفسه.

رُعَيْنَة وهَمَدَان ومُرَاد - ومن الشمال : تُوجب وغسّان ولخْم وذُبْيَان). كما يَجب أنْ لا ننْسَى العناصر المختلفة القادمة من فارس والعراق والشّام ومصر وغيرها. فالتّقاليد المختلفة والمتباينة التّي توارثها هؤلاء وأولائك تبرهن بصورة واضحة على تباعد الأصول وتعدّد الأعراق.

أمّا الموسيقى الحضريّة المتداولة في حواضر البلاد التونسيّة وخاصّة في المدن السّاحلية، فقد كانت دوما مجلوبة من الشّرق أو من الغرب.

فإلى حدود القرن 6 / 12 وبينما كانت عاصمة إفريقيّة تنتقل بين القيروان والمهديّة، كانت الحياة الفكريّة وفن العمارة والفنون بصفة عامة مُقتبسة عن المشرق الإسلامي (العراق وسورية). غير أنّه وبداية من القرن 7 / 13، وقع تغيير كبير في الاتّجاه العام للبلاد. فمع هيْمَنَة الدّولة الموحّدية والحفصيّة على البلاد، أصبح تيّار الأفكار يأتي من الغرب (المغرب والأندلس). ونحن نعرف أن هاتين الدّولتين المغربيّة المنشأ، هما من أصل بربريّ معروف. وأصبحت مدينة تونس، بوضعها الجديد كعاصمة للدّولة، مركزا مغربيًا هامًا للفكر والفنون. غير أنّها لم تنفرد بخصوصيّة مُمَيّزة. فبرغم جهود السّلاطين الحفصيّين وسعيهم في جلب العُلماء والفنانين الأندلسيّين - قصد تجميل بلاطاتهم - لم تزد عاصمتهم على أن تمثّل صورة باهتة للحياة في قرطبة وغرناطة وفاس.

ويكفي أن نقرأ لمؤرخيّ العصر، وخصوصا لابن خلدون وهو شاهد عيان على الأحداث، حتّى نقف على أن البلاد التّونسيّة لم تكن -في مجال الفنون بصفة عامّة والموسيقى بالخصوص - سوى فرع تابع للأندلس. بل إنّ استقرار مسلمي الأندلس في شمال إفريقيا بعد طردهم من بلادهم (897 / 1492 و1019 / 1610) لم يأت في الواقع إلاّ لتأكيد وتدعيم وضع سابق. فالغناء الذّي جلبوه معهم (الغرناطي أو المالوف) كان معروفا وممارسًا في الحواضر الهامّة للسّاحل المغربي قبل مجيئهم بمدّة ليست بالقصيرة.

وخلاصة القول : إن "الموسيقى العربيّة" في شمال إفريقيا كانت طيلة الحكم الإسلامي إمّا مجلوبة من الشّرق في الطّور الأوّل لهذا الحكم، أو من الغرب في الطّور الثّاني له. ولم يكن أبدًا للسّكان الأصليّين أي البربر فنّ بأتمّ معنى الكلمة، لا في الموسيقى ولا في الآداب أو العمارة. ويمكن أن تطمئنّ من هذه النّاحية إلى عدم وجود أيّ تأثير محتمل.

أمّا الموسيقى المجلوبة من الشّرق أو من الغرب، فقد حُوفظ عليها بعناية، وهذا لَعَمْري أمر جليل نسجّله بكلّ ارتياح. فالكثير من التّقاليد الفنيّة التّي دخلت هذا البلد بقيت متداولة دون أيّ تغيير يذكر إلى يومنا هذا. وبرغم انتقال الأرض والعباد من يد إلى أخرى ومن حُكم إلى آخر، فقد تمّت المحافظة - ربّما بلا وعيّ وبدون قصد - على هذا الإرث النّفيس المتراكم عبر العصور لأعراق وحضارات مختلفة.

ويبقى العمل على كشف نصيب كلّ شعب في هذا المزيج المتداخل، من أروع وأجلّ ما يضطلع له البحاثة المهتمّون والعلماء، حتّى يتسنّى إرجاع كل عنصر إلى أصله .

حسن حُسني عبد الوهّاب

تعاليــق المُعَــرِّب :

١) يتّضح من هذه الفقرة أن صاحب المقال يذهب مَذهبَ الذين يرون أن إيقاع الغناء الجاهلي كان مرتبطًا عضويا بالوزن الشعري. ولئن ينطبق هذا الرأي على الأنواع البسيطة من الغناء كالحداء والنصب والتلبية وغناء الحرب، فهو لا ينطبق بالضّرورة على الغناء الفنّي والرّاقي الذي تمارسُه قِيان الجاهلية في الحوانيت وبيوتات الأشراف بمصاحبة الآلات الموسيقية المختلفة. (انظر الطّرق الضافي لمختلف جوانب هذه المسألة في : الأسد، ناصر الدين، القيان والغناء في العصر الجاهلي، ط.3. بيروت ، دار الجيل، 1988، ص ص.95-128).

٢) إذا كانت الموسيقى لا تتطلّب مجهودات لفهمها - أو بالأحرى للاستماع إليها - كما ذهب إلى ذلك صاحب المقال، فهي تستدعي من أولائك الذين يَرُومون استِنكاهَ موسيقى غير موسيقاهم الأصلية، كثيرا من المثابرة والصّبر والتجرّد من الأحكام الذاتية، مع وجود الدافع القويّ. والطريف أن المؤلف نفسه يَعود في كتابه القيّم "ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية (ط.2، تونس ، مكتبة المنار، 1981، ج.II، ص 266)، فيقول : «... هذا الشباب الشرقي المتفرنج من يحضر حفلات الموسيقى الأوروبية ويُظهر إعجابه بما سمع ويرتاح إليه، مع أنه - في واقع الأمر - لم يتأثر في باطنه بشيء من ذلك، وإنما يريد إشعار غيره بأنه نال من التمدّن الغربي ما يسمح له بتذوق تلك الأنغام. ومثل هذا المظهر يُشاهد بكثرة في أقطار المشرق، وفي بلاد المغرب العربي على السواء». وفي نفس هذا السيّاق، يؤكد الكاتب والفيلسوف الفرنسي جان كاك روسُّو (1712-1778) على العلاقة الحميمة بين الخطاب الموسيقي وامتلاك الأدوات اللازمة لفهمه وتقبُّله ، فيقول :

" Si le plus grand empire qu'ont sur nous nos sensations n'est pas dû à des causes morales, pourquoi donc sommes-nous si sensibles à des impressions qui sont nulles pour des barbares ? Pourquoi nos plus touchantes musiques ne sont-elles qu'un vain bruit à l'oreille d'un Caraïbe ? Ses nerfs sont-ils d'une autre nature que les nôtres ? pourquoi ne sont - ils pas ébranlés de même, ou pourquoi ces mêmes ébranlements affectent-ils tant les uns et si peu les autres ? On cite pour preuve du pouvoir physique des sons la guérison des piqûres des tarentules. Cet exemple prouvre tout le contraire. Il ne faut ni des sons absolus ni les mêmes airs pour guérir

tout ceux qui sont piqués de cet insecte ; il faut à chacun d'eux des airs d'une mélodie qui lui soit connue et des phrases qu'il comprenne. Il faut à l'Italien des airs italiens, au Turc il faudrait des airs turcs. Chacun n'est affecté que des accents qui lui sont familiers, ses nerfs ne s'y prêtent qu'autant son esprit les y dispose : il faut qu'il entende la langue qu'on lui parle pour que ce qu'on lui dit puisse le mettre en mouvement. Les cantates de Bernier ont, dit-on guéri de la fièvre un musicien français, elles l'aurait donnée à un musicien de toute autre nation. (ROUSSEAU, J.J., Essai sur l'origine des langues, Introduction, notes, bibliographie et chronologie par KINTZLER, Catherine, Paris, GF-Flammarion, 1993, .pp.111-112)

٣) لقد أثبتنا في المتن النصَّ الحرفي لأبي الفرج كما أورده الكاتب في الحاشية. والمتأمل في الترجمة الفرنسية لهذه الفقرة يلاحظ الأخطاء العلمية التي وقع فيها المؤلف بخلطه بين مصطلح "النغم" الذي ورد في نص أبي الفرج بمعنى "الألحان" ومصطلح (السلّم الموسيقي) l'échelle musicale كما فهمه صاحب المقال. فقد جاء في الترجمة الفرنسية ما يلي :

" Puis il revient dans le Hijâz (...). Il avait choisi dans l'échelle des Byzantins et des Persans des sons les plus agréables et rejeté ce qui lui déplaisait dans la musique de ces deux peuples, notamment l'exagération des nabarat ou saut du grave à l'aigu (sic) , ainsi que certains sons qu'offrent les échelles grecques ou persanes, et qui sont restées étrangers à l'échelle arabe. De ce choix et de cette élimination, il forma son système de chant, que tous les artistes s'empressèrent d'adopter. C'es donc lui (Ibn Misjah) qui a fixé l'échelle des sons du chant arabe et qui , le .premier, en a tiré des mélodies"! (p.108)

وهذا التأويل لنص الإصفهاني- مع عدم مطابقته للأصل العربيّ - يتنافي مع ما هو معروف عن المراحل التي يمرُّ بها تكون السلالم الموسيقيّة وكيفية تطورها. (انظر بالخصوص :

CHAILLEY, Jacques, Eléments d'une philologie musicale, Paris, Alphonse Leduc, 1985. (Notamment la deuxième partie : Intervalles et échelles, pp.55-146)

٤) يبدو أن المقصود هنا بالمذهب الكلاسيكي هو المدرسة العربية القديمة في السلم (المدرسة العودية) التي تعود جذورها إلى الجاهلية، والتي نجدُ وصفا دقيقا لها في "مؤلفات الكندي الموسيقية" (تح. زكريا يوسف، ط . 2، بغداد، مطبعة شفيق، 1984) وكذلك في "رسالة ابن المنجم في الموسيقى" (تح. زكريا يوسف، القاهرة، دار القلم، 1964).

ويمكن حوصلة مبادئ هذه المدرسة في اعتمادها النظام الفيثاغوري في نسب الأبعاد المستعملة في الصناعة، وهي كالآتي:

- **الأبعاد المتفقة** : - بعد ذي الكلّ (2/1 ، 1200 سنتا)
  - بعد ذي الخمس (3/2، 702 سنتا)
  - بعد ذي الأربع (4/3، 498 سنتا)
- **الأبعاد اللّحنيّة** : - البعد الطنيني (9/8، 204 سنتا)
  - بعد الليما أو الفضلة أو البقية (243 / 256، 90 سنتا).

أمّا المذهب الجديد الذي كان يتزعّمه - في زمن إسحاق- إبراهيم بن المهدي، والمعروف بمذهب الطنبوريين، فهو يعتمدُ - إضافة إلى الأبعاد المذكورة - على نوع آخر من الأبعاد اللّحنيّة، هو البُعد المتوسّط (بين الطنيني والبقية) المنسوب إلى زلزل (175 / 791) بنسبة 12/11 (151 سنتا) حسب الفارابي (339 / 950)، وبنسبة 88/81 (143 سنتا) أو 13/12 (138 سنتا) حسب ابن سينا (429 / 1037).

انظر في خُصوص المدرسة العودية :

- شوقي، يوسف، رسالة الكندي في خبر صناعة التأليف، القاهرة ، دار الكتب، 1969.
- شوقي، يوسف، رسالة ابن المنجم في الموسيقى وفك رموز كتاب الأغاني للاصفهاني، القاهرة، دار الكتب، 1976.
- فارمر، هنري جورج، تاريخ مختصر الموسيقي للسلّم العربيّ، في : كتاب مؤتمر الموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة سنة 1932، القاهرة، دار الكتب 1933، ص ص. 383 - 392.

-FARMER, H.G, Mûsîqî,in: Encyclopédie de l'islam tion),t,III, Leyde, E.J.Brill - Paris, A. Picard,(ancienne édi 1938,pp. 801-807.

-Guettat, Mahmoud, La musique classique du Maghreb, Paris, Sindbad, 1980, pp.69-73.

وانظر في خصوص المدرسة الطنبوريّة :

- فارمر. هـ.ج.، تاريخ مختصر ... ع.س.

-DURING, Jean, Théories et pratiques de la gamme iranienne, in : Revue de Musicologie, LXXI, Paris, 1985, n 1-2. pp.79-118.

-FARMER, H.G., art. cit.

-GUETTAT, Mahmoud, La tradition musicale arabe, Paris, Ministère de l'Education nationale, 1986, p.21.

٥) المعروف لدينا اليوم من هذه الرسائل ستّة، خمسة منها حقّقها وعلّق عليها زكرياء يوسف، في : مؤلفات الكندي الموسيقية، بغداد، مطبعة شفيق، 1962، ط.2، 1984، وهي :

1- رسالة في خبر صناعة التأليف، ص ص 45- 66 ؛ حقّقها وعلق عليها أيضا، يوسف شوقي، رسالة الكندي في خبر صناعة التأليف، القاهرة، مطابع دار الكتب، 1969، 284 ص ؛ ترجمها إلى الألمانية وعلّق عليها، ر.لخمان ومحمود أحمد الحنف

Uber die composition des melodein, Leipzig, Kistner Siegel, 1931, 30 + xxp. ;

2 - كتاب المصوتات الوترية من ذات الوتر الواحد إلى ذات العشرة الأوتار، ص ص 67 - 92.

3- رسالة في أجزاء خبرية في الموسيقى، ص ص 93- 110؛

4 - مختصر الموسيقى في تأليف الأنغام وصناعة العود، ص ص 111 -120؛

5 - الرسالة الكبرى في التأليف ص ص 121 - 142؛

أمّا الرسالة السادسة، فقد نشرها وعلّق عليها، زكرياء يوسف، رسالة الكندي في اللحون والنغم، بغداد. مط. شفيق. 1965، 32 ص.

٦) إختـراع آلـة القانـون ؟

يعتبر البحث في أصل الآلات الموسيقية العربية من أعقد المسائل وأدعاها لإثارة نوازع التعصب بين الباحثين المنتمين إلى أقطار عربية مختلفة. ويكفي أن نقرأ للمصري محمد أحمد الحفني "علم الآلات الموسيقية" (ط. جديدة، القاهرة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، 1987)، ثم العراقي صبحي أنور رشيد "الآلات الموسيقية في العصور الإسلامية" (بغداد دار الحرية للطباعة، 1975)، حتى نقف على مدى الحيرة التي

يَجدُهَا القارئ أمام سعي كل منهما - بشتى الوسائل - لإرجاع أصل الآلات إلى حضارات بلده السابقة. ففيما يتّصل بالقانون بالذات، نجد الأوّل يقول: "تعتبر آلة الصنج المصري القديم التي رأيناها لأول مرّة في نقوش الأسرة الرابعة، أي منذ أكثر من خمسين قرناً، والتي كانت تعزف أوتارها مطلقة ثم آلة الآشور التي ظهرت بعد ذلك بحوالي ألف عام في نقوش مدينة بابل وآشور، وكذلك آلة المونوكورد التي استخدمها الإغريق في قياس نسب أصوات السلّم الموسيقي... تُعتَبر كل هذه الآلات أصلا لآلة القانون وفصيلتها" (الحفني، 1987، ص 47). ويرد عليه صبحي أنور رشيد في كتابه "الآلات الموسيقية المصاحبة للغناء العراقي" (بغداد، اللجنة الوطنية للموسيقى، 1989، ص ص 77 - 79) قائلا : "ونحن لا نتفق مع الدكتور الحفني في رأيه للأسباب التالية :

1 - لا توجد علاقة بين القانون وبين آلة الصنج المصري، وبين آلة الآشور وآلة المونوكورد، لا من حيث الشكل ولا من حيث طريقة العزف، ولا من حيث تركيب الآلة.

2 - إن الآلة التي سمّيها الحفني (آلة الصنج المصري القديم) والآلة التي يطلق عليها إسم (آلة الآشور) هما في الواقع آلة الجنك (الهارب Harp) ، يختلفان كل الاختلاف عن آلة القانون.

3 - لا يمكن أن تكون ثلاث آلات تعود لفترات زمنية مختلفة أصلا لآلة القانون، بل لا بُدّ أن تكون آلة واحدة فقط هي الأصل (...).

4 - لا توجَدُ آثار موسيقية مصرية فرعونية يُمكن جعلها واعتبارها أصلا للقانون. (...) إن القانون يرجع في أصله إلى آلة آشورية مستطيلة الشكل وقد شُدّت أوتارها بصورة موازية لسطح الصندوق الصوتي، وهي تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد أي العصر الآشوري الحديث..."

أمّا ما أوردها ابن خلّكان (1082 م) في "وفيات الأعيان" (تح. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، 1977، ج٧ ، ص. 156) من نسبة اختراع آلة القانون إلى الفارابي (ت. 339 / 950)، وهو الذي اعتمده - على ما يبدو- ح.ح عبد الوهاب، فليس لدينا ما يدعو إلى تصديقه : فنحن لا نجد أيّ ذكر لآلة القانون كما هي معروفة لدينا اليوم، أو على صورة تقاربها، لا في "كتاب الموسيقى الكبير" للفارابي(تح. غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة وتصدير، محمود أحمد الحفني، القاهرة ، دار الكتاب العربي، 1967)، (ت. 440 / 1048) ولا في مؤلفات بقية النظريين كابن سينا (ت. 429 / 1037) وابن زيلة (1048 هـ) وصفي الدين (ت. 694 / 1294 هـ). وقد يكون مَرَدُّ الخلط الذي وقع فيه ابن خلكان إلى إشارة الفارابي في كتابه إلى آلة قديمة تستعمل (من قبل الإغريق) لقياس الأبعاد الموسيقية، وهو آلة المونوكورد أو الكانون (Kanon) . انظر لمزيد المعلومات عن أصل آلة القانون وتطورها :

-FARMER, H.G, The Madiaeval Psaltery in the Orient, in : Studies in Oriental musical Instruments, First Series,London, Harold Reeves, 1931, pp. 3-10.

-YEKTA, Raouf, La musique turque, in : Encylopédie de la Dictionnaire du Conservatoire, V , Paris, Dela- musique et grave, 1922, p. 3020.

٧) لئن كان لزرياب دور هام وخطير في تكوّن المدرسة الموسيقية وإنتشارها، منذ وصوله إلى قرطبة في بداية حكم عبد الرحمان الثاني سنة 207 / 822 م حتى وفاته (243 / 857)، فهو لم يكن أوّل " من نقل الفن الموسيقي العربيّ إلى إسبانيا" كما ورد ذلك في النص. فالمعروف عن حكام الأندلس أنهم كانوا يستقدمون المغنين والمغنيات من المشرق الإسلامي (المدينة، بغداد) وحتّى من بلاد العدوة، ومن بين هؤلاء من اشتهر قبل قدوم زرياب نذكر : عجفاء وعلّون وزرقون وعباس بن نصارى ومنصور المغني، والمدنيات : فضل وعلم وقلم...

انظر:

GUETTAT, Mahmoud , la musique classique du Maghreb, op cit,pp 95 - 104.

٨) زرياب ... وأسطورة الوتر الخامس !

جاء في " نفح الطيب" للمقّري (تح. إحسان عبّاس، بيروت، دار صادر، 1968، ج. III، ص 126) ما يلي: " وزاد زرياب في الأندلس في أوتار عوده وترًا خامسًا اختراعا منه، إذْ لم يزل العود ذا أربعة أوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الأربع، وقام الخامس المزيد مقام النفس في الجسد".وهذا جدول بأوتار عود زرياب الخمسة بألوانها ويُقابلها في الطبائع:

اسم الوتر	البَمّ	المثلث	الوتر الخامس	المثنى	الزير
لونـــه	أسود	أبيض	أحمر	أحمر	أصفر
الطبع المناسب	السوداء	البغم	(النفس)	الدّم	الصفراء
صفته	حارّ يابس	حارّ رطب	x	حارّ رطب	حارّ يابس

غير أن تعليل المقرّي لإضافة الوتر الخامس لا يفي لوحده بالحاجة، ولا بُدّ من البحث عن علة أخرى، تقنية أو موسيقية، تبرّر هذه الزيادة في أوتار العود. ففيما يتّصل بالناحية التقنية - أي طريقة العزف على العود - يبدو من الصعب إيجاد مبرّر واحد لزيادة وتر بين المثلث والمثنى ، خصوصا إذا علمنا أن النظام المعهود في تسوية الأوتار يُمكّن من استخراج كل النغمات اللازمة بكل يسر. وليس أدل على ذلك من بقاء هذا النظام معمولا بـه على الأقـل منذ نهاية القرن الثـامن - تاريخ أول معرفتنا به - إلى يوم الناس هذا (الشكلان 1 و 2).

وأمّا فيما يتّصل بالناحية الموسيقية، فلا بُدّ من أن تقترن إضافة وتر جديد بتوسيع في المنطقة الصوتية للعود ، إما من جهة الغلظة أو من جهة الحدّة. ولا ندرى كيف يكون ذلك ممكنا بزيادة وتر وسط أوتار العود ، إلاّ إذا استبدلنا التعديل المنتظم بنوع آخر من التعديل المتداخل. وعلى فرض اعتماد هذا النمط من التسوية المتداخلة، يبدو من المستبعد أنه وقع توسيع المنطقة الصوتية للعود من جهة الغلظة وذلك بإضافة وتر أغلظ من البمّ، خاصة وأن وتر البمّ يُسَوّى تقليديًا على أغلظ صوت تصل إليه حُنجرة المُغنّي. يبقى إذن الافتراض الثاني، وهو تسوية الوتر المزيد على نغمة أحدّ من الزير، أي على ري$_2$ أو مي$_2$ (واستبعدنا نغمة فا$_2$ لأنه يكون من الأقرب إلى المنطق وضعها تحت الزير كما حدث ذلك في المشرق) (انظر الشكلان 3 و4).ولكن ماذا كان مصير هذا العود ؟

الواقع أن عود زرياب لم يُعمّر طويلا بعد صاحبه، أو لربّما اندثر بوفاته، لأنّنا لا نجد له أثراً في أي منطقة من المناطق التى كانت في دائرة التأثير الثقافي الأندلسي، ونعنى بها أوروبا وبلاد المغرب العربي. ففي أوروبا ، تُجمع جلّ البحوث المختصّة على أن العود المتداول حتى أواخر القرن الرابع عشر، لم يكن يحتوى إلا على أربعة أوتار مفردة، ثم وقع تضعيفها ، ولم يبدأ العمل بإضافة وتر خامس إلا في حدود سنة 803 / 1400. أمّا في المغرب العربي، فالعود المستعمل - إلى وقت قريب- في التخوت التقليدية لا يحتوى إلاّ عَلى أربعة أوتار مزدوجة، تُسوّى بطرق مختلفة - بحسب المناطق - ولكن يمكن حوصلتها في نوعين رئيسيّين : نوع خاص "بالعود العربي" في تونس (شكل 5)، والنوع الثاني يهمّ العود في باقي المغرب العربي (شكل 6).
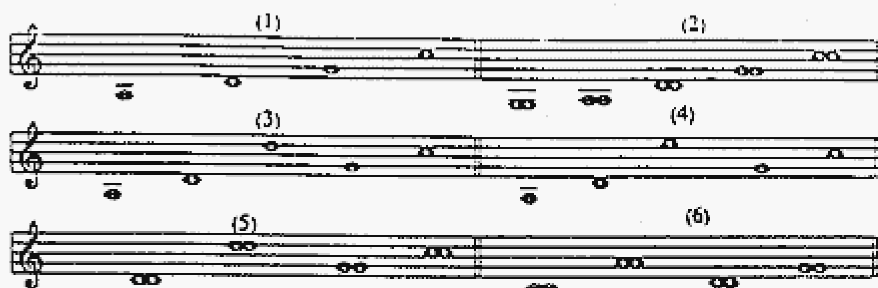
وبالنّظر إلى ما تقدم، يُمكن الخلوص إلى احتمالين إثنين : إما أن يكون وتر زرياب الخامس مجرّد وهم من صنع الخيال الشعبي اتّخذ شكل الحقيقة التاريخية بمجرّد أن دُوّن في كتب الأخبار والتاريخ (أذكّر بنسبة اختراع آلة القانون إلى الفارابي و بما أتى في

مجلس سيف الدّولة، وكذلك بمختلف الحكايات التي تنسب إلى عنترة العبسي، وأبي نواس وهارون الرشيد وغيرهم من مشاهير الأعلام). أما الاحتمال الثاني، وهو جائز أيضا، فمهو أن يكون زرياب قد أضاف فعلا وترًا خامسًا، ولكن للأسباب التلقنية والموسيقية التي أسلفنا القول فيها، أو لأسباب أخرى نجهلها، لم يكتب لعوده الاستمرار والانتشار، وبقي قصراً عليه.

٩) نثبت فيما يلي خبر حبس أبي الصلت في القاهرة كما جاء في "الورقات" (ج II، ص ص. 227 -238)، وهو - كما سنرى- يختلف قليلا عن النص الفرنسي. يقول ح.ح عبد الوهاب:

"... ثم خرج من وطنه في سن الثلاثين، وقصد المهدية حيث نزل على أميرها الأديب يحيى ابن تميم بن المعز بن باديس، وأقام في حاشيته إلى أن أرسله سفيرًا إلى ملك مصر، لمّا رأى فيه من الخصال النادرة والعلم الغزير من أدب وفلسفة وطب مع إتقان الفنون بأنواعها وأصنافها، وقُوبل أسة في القاهرة بما يستحق من التقدير من لدن الأمراء والحكام وسائر الطبقات. وهناك دارت عليه دائرة غريبة كانت من أشد النوائب وأنفع المحن عليه وعلى العلوم بصفة عامة. وذلك أنه تعهّد لبعض الأمراء المصريين بإخراج مركب مُحمّل بالبضائع الثمينة غرق في بحر الإسكندرية، فباشر أمية أعمال الإخراج بأدق الوسائل الفنية، وجلب السّفينة إلى أن طفت على الماء لكنها رسبت لانقطاع الحبال والأرسان، فحنق عليه الأمير وأمر بسجنه، فسيق إلى دار فيها خزانة كتب جليلة القدر، خلا فيها أميّة سنوات انكب على المطالعة، وأمتن معلوماته في الفلسفة والطب والتلحين، ثم أطلق سراحه فعاد إلى المهدية وانتظم في خدمة الأمراء الصنهاجيين...".

الأشكال من (1) إلى (6)



(1): تسوية العود العربي القديم
(2): تسوية العود المشرقي
(3)-(4): التسويتان المحتملتان لعود زرياب
(5): تسوية العود التونسي
(6): تسوية العود في باقي المغرب العربي (توجد طرق أخرى لتسوية هذا العود ولكنها لا تخرج عن النسب الموجودة بين الأوتار).

يهـود الأندلس فـي ظـل الحكـم الإسلامي

92 - 897 / 711 -1492

بقلم د. هشام فوزي عبد العزيز

المقـدمـة :

تعتبر دراسة أوضاع يهود الأندلس وأحوالهم، في ظل الحكم الإسلامي من المواضيع المهمة التي تستحق الالتفات إليها ؛ وذلك لأنها توضح الموقف العربي والإسلامي من تلك الأقلية، وقد اتسم هذا الموقف في الغالب بالإيجابية، حيث أن يهود الأندلس تمتعوا بقسط وافر من الحرية الدينية، وأتيح لهم المجال للمشاركة في النشاطات السياسية و الاقتصادية والثقافية والتعليمية ، وقد ترتب على ذلك أن كانت نشاطاتهم في تلك المجالات ملموسة، وإسهاماتهم فيها واضحة، وفي المقابل فإن بعض اليهود في الأندلس استغل المناخ الإيجابي في ظل الحضارة العربية الإسلامية، لتحقيق أهدافهم الدينية والسياسية ، و تمثلت هذه الأهداف آنذاك في الحنين والرغبة في العودة إلى فلسطين لإنشاء "دولتهم الموعودة"، فاعتبروا أنّ وجودهم في الأندلس مؤقت وأنهم ينتظرون الفرصة للهجرة منها ، وهي قيم ومبادئ واتجاهات تتعارض مع المفاهيم العربية والإسلاميّة لها.

I يهـود الأنـدلـس قبـل الفتـح الإسلامـي:

عاش اليهود في إسبانيا منذ أزمنة طويلة يصعب تحديدها على وجه الدقة. وقد كثرت جماعاتهم هناك في المراكز الحضرية المتطورة مثل طليطلة وغرناطة وأليسانه وبيانه والبيرة وإشبيلية وطركونة، وتلك الأماكن كانوا يتجمعون فيها إبان الفتح الإسلامي[1].

1) مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم. تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة ، ص 21 -23، ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان وليفي بروفنسال. بيروت، دار الثقافة، ج 2، ص 12 ؛ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق حسين نصار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ج 23، ص 44-50 ؛ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمّد عبد الله عنان، القاهرة دار المعارف، م 1، ص 107، 102 ؛ أحمد بن محمّد المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت ، دار صادر ، 1968، ج 1، ص 263 - 269 ؛ عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، بغداد، دار الرشيد، 1982، ص 85-86.

لقد تعرض اليهود للاضطهادات، في أثناء الفترة القوطية، وخاصة بعد القرارت التي اتخذها المجلس الكنسي الذي عقد في إلبيرة عامي 303 و 304م ؛ وتتلخص قرارات ذلك المجلس في النداء الذي وجهه المجلس للمسيحيين بأن لا يخالطوا اليهود في المسكن والمأكل، وأن لا يسمح لرجال الدين اليهود بأن يباركوا محاصيلهم كما تعودوا في السابق[2].

ولم يأخذ ذلك النداء صفته الرسمية والفعلية إلا بعد أن اعتنق الملك ريكاردو Recardo (حكم بين عامي 574 - 601م) المسيحية، وكان يكره اليهود، ففي أواخر حكمه تقدم باقتراحات إلى المجلس الكنسي الثالث الذي انعقد عام 589 م بمدينة طليطلة، كانت تهدف إلى تشديد اضطهادهم. وقد توصل ذلك المجلس إلى جملة من القرارت كان أهمها : منع استخدام اليهودي للمسيحيين في أي نوع من الأعمال، ومنع زواج المسيحيات من اليهود، وضرورة تعليق اليهود لإشارات مميزة في مكان ظاهر حتى يعرفهم الجميع، وضرورة عتق أي عبد مسيحي مملوك ليهودي، وفصل كل اليهود الذين يعملون في خدمة الحكومة ومراعاة عدم تعيينهم مستقبلا. وقد صادق الملك ريكاردو على قرارت المجلس الكنسي المذكور، وأصبح قانونًا في الدولة، ولكن التنفيذ لم يكن صارماً[3].

وفي عهد الملك سيسبت Sisebut (ت 621 م)، بدأ بتضييق الخناق على اليهود إذ حرموا من إقامة شعائرهم الدينية، كما منعوا من العمل الزراعي، أو أن يتملكوا مزارع كبيرة، كما جرد اليهود من العبيد والمستأجرين. وأعطى الملك المذكور لليهود مهملة عام للتفكير في اعتناق الديانة المسيحية أو الرحيل عن إسبانيا. وعلى أثر ذلك هاجر الكثير من يهود إسبانيا إلى الخارج، بينما تظاهر آخرون باعتناقهم الديانة المسيحية حرصًا على أملاكهم وأرواحهم، وكانوا يذهبون إلى الكنائس في الظاهر، لكنهم ظلوا يمارسون الشعائر الدينية اليهودية خفية، إضافة إلى احتفالهم بالأعياد اليهودية سراً[4].

وبعد وفاة الملك سيسبت خلفه على العرش الملك سوانتلا Suintala الذي اتصف بعدم تعصبه للمسيحية كسلفه، فانتهز اليهود تلك الفرصة، وارتدوا عن الديانة المسيحية إلى الديانة اليهودية. وفي فترة حكم الملك سيسنارد Siesnard انعقد المجلس الكنسي الرابع عام 632م، وفيه تمّ تجديد قرارات المجلس الكنسي الثالث والمتعلقة بوضع اليهود في إسبانيا، إضافة إلى إصدار قرارات جديدة منها :إرغام كل يهودي على أن يسلم أبناءه عند بلوغهم السابعة للكنيسة لتقوم

---

2) Max Margolis and Alexander Mark, A history of the jewish pepole, New York, 1929, p.303-304 ; E. H.Lindo, History of the Jews of Spain an Portugal, New York , 1970, p.11-13.

ومحمّد بحر عبد المجيد، اليهود في الأندلس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970، ص 13-14.

3) Graetz, History of the Jews, vol, 2, p. 627-28 ; Lindo, History of the Jews of Spain, p.13-17.

4) Graetz, History of the Jews, vol,2,p.629.

حسين مؤنس، فجر الأندلس، جدة، الدار السعودية للنشر، 1985، ص 521- 522 ؛ وورثي لودر،إسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق فودة، القاهرة، مكتبة النهضة، 1965، ص 43-44 ؛ أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها، دمشق ، 1972، ص 9-10.

بتعميدهم وتربيتهم تربية مسيحية، كما يُسلّم كل يهودي ارتدّ عن المسيحية لأحد المسيحيين ليتخذه عبداً. وفي عهد قانطلا Chantila قرر المجلس الكنسي المنعقد بطليطلة طرد اليهود من إسبانيا، وعندما سمع اليهود بذلك القرار سارعوا إلى قصر الملك وكتبوا له وثيقة يتعهدون فيها بأنهم سيكونوا مسيحيين مخلصين للكنيسة وللملك، وأنهم لن يرتدوا مرة أخرى[5].

وبعد فترة من الزمن أحس رجال الدين المسيحيين بأن اليهود يحتفلون سراً بالأعياد والمناسبات اليهودية في منازلهم، ولذلك أمر اليهود بالتواجد في الكنائس المسيحية أيام المواسم اليهودية، وأن يكونوا تحت رقابة رجال الدين لضمان عدم احتفالهم بالمواسم اليهودية. وفي عهد إيرونيج Erwing (680 - 687 م)، أقصي اليهود من كل المناصب العامة وعن وكالة المزارع الكبيرة، كما حرّم عليهم وعلى عبيدهم، أيضا، أن يعملوا في حقولهم أيام الآحاد والعطل، وحرّم عليهم قراءة الكتب التي تعارض المسيحية، إضافة إلى ختان أولادهم، والتي تعتبر من الركائز الرئيسية للديانة اليهودية[6].

ولكن ذروة الاضطهاد ضد اليهود بلغت الأوج في عهد الملك أخيكا Egica (687 - 702م)، الذي ركز على تجريد اليهود من قدرتهم الاقتصادية؛ إذا أجبر اليهود على بيع عبيدهم إلى خزينة الدولة بسعر زهيد، إضافة إلى أية ممتلكات حصلوا عليها من المسيحيين، كما أنهم منعوا من مزاولة الأعمال التجارية على مختلف أنواعها. ولعل سبب عدم السماح لليهود بممارسة الأعمال التجارية هو الحيلولة دون أن يصبح اليهود ذوي تأثير كبير في الفعاليات الاقتصادية، يضاف إلى ذلك أن يهود إسبانيا اتهموا في عهد أخيكا بالاشتراك في تدبير مؤامرة مع اليهود القاطنين في الشمال الإفريقي ضد المسيحيين في إسبانيا[7].

وخلاصة لما سبق يمكن القول بأن اليهود في إسبانيا عامة، خلال العهد القوطي، قد تعرضوا للاضطهاد والتشديد والمراقبة، ولم تتح لهم الحرية لممارسة نشاطاتهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية.

II - موقف اليهود من الفتح الإسلامي للأندلس :

رحب يهود الأندلس[8] بالفتح الإسلامي نتيجة معاناتهم المريرة من قبل القوط. ويبدو أن المسلمين قد استفادوا من اليهود في بعض المهمات المحدودة مثل الحصول على معلومات حول

---

5) Margolis and Marx, A History of the Jews, p.305-307 ; Lindo, History of the Jews of Spain, p.18-21.

6) عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 16-17.

7) Lindo, History of the Jews of Spain, p.18-21.
وخالد الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس : الفتح وعصر الولاة، بنغازي، 1971، ص 65 - ؛ ذنون طه، الفتح والاستقرار و ص 87 ؛ مؤنس، فجر الأندلس، ص 522.

8) قدر عدد اليهود في الأندلس عشية الفتح الإسلامي بـ 100 ألف يهودي. انظر : جوزيف ماك كيب، مدينة المسلمين في إسبانيا، ترجمة محمد تقي الدين الهلالي، الرباط، 1985، ص 95.

الطبيعة الجغرافية للأندلس، وحوّل تحركات النصارى. ويذكر الدكتور حسين مؤنس بأن طارقًا أفاد من اليهود الذين وجد فيهم الأدلاء الذين يقودونه في أباطيح الأندلس الفسيحة التي لم يكن المسلمون يعرفون الكثير عنها. ويؤكد على أن يهود إشبيلية وتدمير كانوا يقومون بحراسة الحاميات، وقد قاموا بفتح أبوابها أمام الجيوش الإسلاميّة[9]. ويرد في بعض المصادر العربية الأندلسية بأن المسلمين عندما سيطروا على مدن : قرطبة وأليسانة وإلبيرة وطليطلة وإشبيلية، كانوا يعمدون بضم سكانها اليهود إلى المدافعين عنها[10].

ويظهر أن قصة مساعدة اليهود للجيش الإسلامي الذي افتتح الأندلس، قد وجدت مبالغة كبيرة من قبل بعض المؤرخين الغربيين، حيث قالوا : بأنها مؤامرة قد حبكت بين اليهود والمسلمين لتسليم الأندلس للعرب المسلمين. ولم تجد تلك الادعاءات أيّ دعائم لها حتى أنها رفضت من قبل المؤرخين اليهود أنفسهم، باعتبارها من الأساطير المعادية للساميّة[11].

III الأوضاع السياسية ليهود الأندلس:

تندر المعلومات المتعلقة بالأوضاع السياسية لليهود في الأندلس خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، واعتباراً من القرن 4 / 10 بدأ النشاط اليهودي في ذلك المجال بالبروز. وهذا يعزى إلى ظهور طبيب يهودي استطاع أن يكسب ود الخليفة عبد الرحمن الثالث (300 - 350 هـ / 912 - 961م)، ويحظى بثقته، ويدعى هذا الطبيب إسحق بن عزرا بن شبروط (303 - 359 هـ / 915 - 970 م)، واشتهر باسم حسداي بن شبروط، وقد ولد في مدينة جيان، وهاجر مع عائلته صبيًا إلى قرطبة عاصمة الأندلس، ودرس الطب هناك ومارسه، وفي عام (340 هـ / 951م) ترجم حسداي كتاب الطب الذي ألفه باليونانية ديوسقوريدس، حيث حازت الترجمة على إعجاب عبد الرحمن الثالث، فكافأه بتعيينه طبيبًا في القصر، وانتفع بدرايته باللغة اللاتينية عند استقباله لرسل أوروبا الناطقة باللاتينية وأمرائها، كما أن الخليفة كان يستشيره في أمور الدولة الداخلية والخارجية[12]. كما أرسل في سفارات إلى الممالك النصرانية : منها توجهه إلى صاحب برشلونة

9) مؤنس، فجر الأندلس، ص 87-88، 92. وانظر أيضا : عبادة كحيلة، تاريخ النصارى في الأندلس، القاهرة، المؤلف ، 1993، ص 45.

10) ابن عذاري، البيان المغرب، م 2، ص 12 ؛ مجهول، أخبار مجموعة ، ص 23؛ النويري، نهاية الأرب ج: 24، ص 48، 50؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، م 3، ص 529 ؛ اللمحة البدرية في الدولة النصرية، القاهرة، المكتبة السلفية، 1347 هـ، ص 16 ؛ المقري، نفح الطيب، ج.1 ، ص 263، 269.

11) ذنون طه، الفتح والاستقرار، ص 172-173.و انظر أيضًا : لوردر ، إسبانيا : شعبها وأرضها، ص 70 ؛ موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ترجمة إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص 117.

12) أرثر كوستلر، امبراطورية الخزر وميراثها، ترجمة حمدي متولي مصطفى، بيروت، منشورات فلسطين المحتلة، 1976، ص 80-81 ؛ د. دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ترجمة سهيل زكار، دمشق ، دار الفكر ، 1987، ص 176-177، ؛ عبد المجيد ، اليهود في الأندلس، ص 22-24.

Raymond Scheindlin, the Jews in Muslim Spain, in : the legacy of Muslim Spain, Edited by salma Jayyusi, Leiden, 1992, p.190.

المسمى تتبير بن غيفريد عام (328 هـ / 939 م) لمهادنته. كما أرسل في العام نفسه إلى ردمير الثاني (320 - 339 هـ / 931 - 951م) حاكم جليقية، من أجل فك أسر محمّد بن هاشم ، أحد رجالات عبد الرحمن، حيث نجح في مهمته واستطاع عقد الصلح مع ردمير. ويصف ابن حيان حسداي بن شبروط بقوله : " وهو واحد العصر، الذي لا يُعَدَّلُ به خَادِمَ مَلِكٍ، في الأدب وسعة الحيلة ولطف المدخل، وحسن الولوج"(13).

وكان حسداي من المبرزين في مجال التجارة الأندلسيّة وشؤونها الخارجية، إضافة إلي قيامه بنشاطات سياسية خارجية، لكنه لم يمنح لقبًا رسميًا، لتلك النشاطات. وقد استطاع أن يجمع أموالاً طائلة ويصبح من أغنياء زمانه. كما أنه نافس أغنياء المسلمين في اقتناء الكتب والتفاخر بمكتبته، وقلد حكام العرب باتخاذه شعراء، يمدحونه مقابل صلات سنيّة يغدقها عليهم. وكان من أوائل الشعراء الذين مدحوه مناحيم بن سروق وإسحاق بن قفرون(14).

وبعد أن انهارت الخلافة الأموية في قرطبة، ظهرت في الأندلس دول إمارات الطوائف ابتداء من القرن 5 / 11. فرأى بعض اليهود أن من مصلحتهم توسيع شقة الخلاف في هذه الإمارات ، فقاموا بنصيب وافر في إشعال نار الفرقة بين الأمراء، فازداد نفوذهم وخاصة في دولة بني زيري بغرناطة (403 - 483 هـ / 1012 - 1090 م)، حيث برزإسماعيل ابن نغريلة (382 - 448 هـ / 993 - 1056م)، وهو من أسرة يهودية ثرية عاشت في قرطبة، هاجر إلى مالقه وافتتح هناك متجراً صغيراً وراح يمارس مهنة التجارة ليكسب معيشته. وقد صادف أن كان متجر إسماعيل يقع في مكان غير بعيد عن قصرأبي القاسم بن العريف وزير حبوس بن ماكسن ابن زيري (410 - 430 هـ / 1019 - 1028 م)، فاكتشف هذا الوزير معرفة إسماعيل باللغة العربية وجودة أسلوبه في التحرير بها إضافة إلى إتقانه العبرية واللاتينية، ومعرفته بعلم الفلك والمنطق؛ ولذلك عينه الوزير كاتبًا له وكان يستشيره في بعض أمور الولاية، فذاع صيته بين يهود مالقة، وعينه رئيسا لهم. ونظراً إلى إعجاب ابن العريف بإسماعيل فقد قدمه إلى حبوس أمير ولاية مالقة فأعجب حبوس بذكائه وكياسته فجعله مسؤولاً عن جباية الضرائب بإماراته(15).

---

13) ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار أهل الأندلس،تحقيق شالميتا ، مدريد، المعهد الإسباني، 1979، ج 5 ص466.

14) ابن حيان، المقتبس، ج. 5 ، ص 454-456-466-467، 472-473 : الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان، د.ن.د.ت، ص 182-185 ؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، القاهرة، دار المعارف، 1978، ج1، ص144 ؛ ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1979، ق 3، م1 ، ص 457-498 ؛ المقري ، نفح الطيب، م1 ، ص 640-643 ؛ صاعد بن أحمد بن صاعد، طبقات الأمم، ص 113-114 ؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، 1965، ص 498 ؛ عبد المجيد، اليهود في الأندلس، ص 22 -24.

15) Eliyahu Ashtor, the Jews of Muslem Spain. Translated from Hebrew by Aaron Klein and Jenny Klein, the Jewish publication society of America philadelphia, 1979, vol.2. 7-61. Scheindlin, the Jews in Muslem Spain, p.190-191

وعندما مات حبوس، حدث خلاف بين ولديه ماكسن وباديس على الإمارة فوقف إسماعيل إلى جانب باديس الذي نجح في التغلب على أخيه، ثم الوصول إلى سدة الحكم. وعندما تولى باديس الإمارة (430 - 466 هـ / 1028 - 1073 م) لم ينس جميل إسماعيل في مناصرته له فعينه وزيراً في إماراته. وبذلك أصبح إسماعيل بن نغريلة أول يهودي أندلسي وصل إلى منصب الوزارة رسمياً حيث كان مسؤولاً أمام باديس عن شؤون الإمارة الداخلية والخارجية وذلك في عام (418 هـ / 1028 م). كما أنيطت به مهمة أمور الجيش، فقاد الحملات العسكرية ضد أعداء إماراته، وفي العام نفسه عين رئيساً للطائفة اليهودية في غرناطة[16].

وفي أثناء تولي إسماعيل ابن نغريلة الوزارة توافد عليه الكثير من اليهود يبتغون فضله، فكان يعطف على فقرائهم ويكرم علماءهم ويغدق الأموال على شعرائهم، وعهد إلى بعض اليهود بوظائف حكومية مهمة. وقد أدى كلّ ذلك إلى ازدياد مكانته وشعبيته واتساع نفوذه بين اليهود، وبقي إسماعيل يمارس منصبه حتى وفاته عام (459 هـ / 1066م)[17]. فخلفه ابنه يوسف وتولى الوزارة من بعده، أيضاً، وقد وصفه ابن الخطيب بأنه مدبر الدولة الزيرية في غرناطة[18]. وقد افتعل يوسف الكثير من المشاكل والانقسامات السياسية، إذ كان يدبر الاغتيالات السياسية ضد معارضيه، كما فرض الضرائب المرتفعة على المسلمين، مما أدى إلى نقمتهم عليه، فاجتمعت الأعداد الكبيرة من المسلمين في غرناطة ضده، وقتلوه[19].

وكان لليهود في الدولة الزيرية في غرناطة النفوذ الواسع لا سيما في المجالين السياسي والاقتصادي، إذ تقلد بعضهم وظيفة الخازن وهي أشبه بوزارة المالية اليوم. وتشير مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين (466 - 438 هـ / 1073 - 1090 م) إلى أن أبا الربيع اليهودي كان خازناً للأموال في دولته[20].

والسؤال الذي نطرحه هنا، هو لماذا ازداد نفوذ اليهود في الدولة الزيرية؟ يبدو أن هناك عوامل عديدة وراء ازدياد ذلك النفوذ لعل من أهمها: انعدام ثقة الدولة الزيرية بالعرب، وإلى المقدرة الفائقة التي امتاز بها اليهود في معالجة المسائل الاقتصادية والمالية، خاصة وأن مملكة

---

16) مذكرات الأمير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة المسماة بكتاب التبيان، نشره ليفي بروفنسال، القاهرة، دار المعارف، 1955، ص 31-51 ؛ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ق 1، م2، ص 766-779 ؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج.1، ص 114-115 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 2، ص 261، 275-276.

Ashtor, the Jews in Muslem Spain, Vol.2 p. 61-66.

17) المصادر المذكورة آنفاً.

18) ابن الخطيب، الإحاطة ج.1، ق 4، ص 447.

19) مذكرات الأمير عبد الله، ص 51-55 ؛ ابن بسام؛ الذخيرة، ق 1، م 2، ص 776، ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ص 115 ؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج.1ق 4 ؛ ص 447.

20) مذكرات الأمير عبد الله، ص 30.

غرناطة كانت ترزح آنذاك تحت نير الأعباء المالية. ومنها أيضا النفوذ الذي باشرته الثقافة اليهودية على الشعب البربري الذي لم يكن قد تم تعريبه بعد.إلا أن أهم ما مكن لليهود في غرناطة، هو أن الزيريين كانوا يعتنقون مذهب التشيع و كان بينه وبين اليهودية صلة قديمة، إذ تأثر الشيعة منذ نشأتهم بتعاليم الديانة اليهودية[21] .

ويظهر أن المرابطين في النصف الثاني من القرن5 / 11 وبداية القرن6 / 12، قد غيروا من وضع اليهود في الأندلس، ولعل مرد ذلك أن عمل اليهود في الإدارة المالية بالأندلس خلال فترة ملوك الطوائف، وتعسفهم في جباية الضرائب وسيطرتهم الاقتصادية هناك، كانت من العوامل التي أدت إلى بغضهم. ولما فتح المرابطون الأندلس فرضوا على اليهود ضرائب مشطة، حيث وجد ذلك العمل مساندة الفقهاء. ويضاف إلى ذلك مساعدة يهود الأندلس للنصارى ضد المسلمين كما حدث في معركة الزلاقة (479 هـ / 1086م)[22]. وفي أثناء العهد الموحدي، شُدّدت الرقابة على اليهود حيث لم تعقد لهم ذمة، ولم يظهر اليهود إخلاص لهذه الخلافة، فلم يكفوا عن أذى المسلمين والتجسس عليهم، كما أنهم أيدوا بعض الحركات الانفصالية والمعارضة مثل حركة ابن همشك عام (557 هـ / 1161 م)، إضافة إلى أنهم وقفوا إلى جانب ابن مردنيش حاكم مرسية وبلنسية في الثورة التي قام بها ضدّ بني عبد المؤمن الموحدي، ولكن تلك الثورة سحقت و استعاد الموحدون غرناطة[23].

وتجدر الإشارة إلى أن حركة الجلاء اليهودية عن الأندلس قد ظهرت في القرنين 5 - 6 / 11 - 12، نتيجة الضغوط التي تعرضوا لها، فهاجروا إلى صقلية والمشرق الإسلامي وإلى الممالك المسيحية، وإلى جنوب فرنسا[24].

أما بالنسبة إلى أوضاع اليهود السياسية في ظل الدولة النصرية (بني الأحمر) (629 - 897 هـ / 1231 - 1492 م)، فإنّ بني الأحمر كانوا أكثر من سابقيهم تسامحا، حيث حافظوا على مصالح اليهود، وأمنوا لهم حرية شعائرهم وتقاليدهم، ففي عام (766 هـ / 1364 م)، استقبل محمّد الخامس (755 - 760 هـ و763 - 793 / 1354 م - 1358 م و1361م - 1390 م)

---

21) إسماعيل العربي، دولة بني زيري ملوك غرناطة، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1982، ص 81-82 ؛ محمود علي مكي، التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية ع 1 -2 ، م 2، ص 130-131.

22) ابن عذاري، البيان المغرب، ج. 3، ص 264-265 ؛ المراكشي ، المعجب، ص 134 ؛ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس، الرباط، دار المنصور، 1973، ص 97 ؛ ديوان ابن سهل الأندلسي ، بيروت، دار صادر، 1967، ص 151 ؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشيه، ص 25-57.

23) المراكشي، المعجب، ص 305 ؛ النويري ، نهاية الأرب ج. 23، ص 217 ؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص 84 ؛ المقري ، نفح الطيب، ج 1 ص 223 ؛ شفيق محمد رقيب، شعر الجهاد في عصر الموحدين، عمان، 1984، ص 22-23، عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، بيروت، دار الشروق، 1983، ص 114.

24) إسرائيل ولفنسون، موسى بن ميمون، القاهرة ، 1936، ص 4-7 ؛ موسى النشاط الاقتصادي ، ص 114.

300 عائلة يهودية هربت من اضطهاد القشتاليين ولجأت إلى غرناطة. وفي عام 792 هـ / 1389 م شهدت مناطق قشتالة وكتلونية وجزر البليار موجة اضطهادات ضد اليهود حملت الناجين منهم على الهرب إلى مملكة بني الأحمر[25].

وعلى الرغم من تعرض اليهود في الممالك النصرانية للاضطهاد إلا أن بعض الأمراء المسيحيين استخدمهم في مناصب سياسية رفيعة، إذ عمل بعضهم كسفراء لهؤلاء الأمراء : منهم إبراهيم بن يعقوب السفير الإسباني اليهودي إلى الأمير أوتو الكبير عام (355 هـ / 965 م)[26]. كما عمل اليهودي إبراهيم بن الفخار، سفيراً لملك طليطلة النصراني، بينه وبين ملوك المغرب[27]. كما استخدم الكثير من اليهود جباة لأمراء النصارى[28].

IV الأوضاع الاقتصادية ليهود الأندلس :

لقد عرفت الطائفة اليهودية في الأندلس، في مجموعها حياة أكثر اطمئنانا واستقراراً، بشكل عام، كما لم تعرفها في مكان آخر نظراً إلى الوضع القانوني المتسامح معهم بصفة عامة، إضافة إلى إتقانهم العديد من اللغات الدارجة هناك، وعلاقاتهم بإخوانهم اليهود في إسبانيا المسيحية والدول الأوروبية الأخرى، وفي الشمال الإفريقي وبلاد الشام، وقد مكنهم ذلك من أن يلعبوا دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية الأندلسية[29].

ونتيجة لاستقرار أعداد كبيرة من اليهود في أرياف الأندلس، فقد فرض عليهم العمل الزراعي وما يتصل به من رعي و صيد[30]. وعمل اليهود في الحرف والمهن المختلفة مثل الحياكة والنسيج والأقمشة والدلالة في الأسواق، وفي نسخ الكتب وتجليدها، وأساكفة، وحمالين وكيالين[31]. وبرز اليهود أكثر من غيرهم في مجال الذهب وصياغته، حيث أقاموا أسواقًا خاصة

---

25) يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر ، بيروت ، المؤسسة الجامعية ، 1982، ص 116.

26) دنلوب، تاريخ يهود الخزر، ص 305 ؛ كوستلر، امبراطورية الخزر، ص 160-161.

27) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج 2، ص 23 ؛ المقري ، نفح الطيب، ج. 1، ص 527.

28) ابن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، م 13، 1965-1966، ص 89 ؛ محمّد بن عبد الله الحميري، صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار، نشرة ليفي بروفنصال، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، 1937، ص 84.

29) ا.س. ترتون، أهل الذمة في الإسلام ، ترجمة حسن حبشي، دار الفكر العربي، د.ت، ص 99.

30) ابن عذاري ، البيان المغرب، ج. 4 ، ص 36. 71 ؛ هشام أبو رميلة ، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية، والدول الإسلامية في الأندلس، عمان، 1984، ص 369.

Ashtor, the Jews of Muslem Spain, Vol.2 p. 167.

31) إسماعيل بن الأحمر، بيوتات فاس الكبرى، الرباط، دار المنصور، 1973، ص 24 ؛ ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 1979، ق 1، م1، ص 418، ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص 65 ؛ الحميري، الروض المعطار، ص 44 ؛ جهاد غالب الزغول، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، غير منشورة، الجامعة الأردنية - قسم التاريخ ، 1994، ص 90.

بذلك[32]. حتى أن أحد الأمثال الأندلسية يشير إلى أن جلّ الصاغة كانوا من اليهود، وإذا تفاخر مسلم بهذه المهنة احتقره الناس[33]. وقد تقلد بعض اليهود مناصب اقتصادية حساسة مثل منصب الخازن، وقدأشير إلى ذلك سابقًا. وقام رؤساء اليهود بجباية الأموال والضرائب المستحقة من أبناء جلدتهم[34]. كما عمل بعض اليهود في مجال ضرب النقود (السكة)[35].

واستخدم ملوك النصارى اليهود في جمع الضرائب من رعاياهم، إضافة إلى الأموال التي كانت تجمع من المسلمين. وقد تمتع يهود قشتالة بوضع أفضل من وضع اليهود في الممالك المسيحية الأخرى، حيث كانوا يشكلون ثقلاً اقتصاديًا هامًا. فقد استخدم الفونسو السادس (458 - 502 هـ / 1065 - 1109م)، اليهودي ابن شالب في جباية الضرائب من رعاياه ومن المسلمين، وكان يعد من الخبراء في مجال النقد في عصره[36]. كما وضع ألفونسو العاشر (650 - 681هـ / 1252 - 1282م) اليهودي سولمون بن زادوك في منصب كبير الجباة، فانتهج ملوك قشتالة ممن جاءوا بعده النهج نفسه، فقد عين بدرو الرابع، اليهودي صموئيل هيلفي رئيسًا للجباة. ولعب الممولون اليهود والمتنصّرون منهم دوراً هامًا في توفير الأموال التي احتاجت إليها الملكة ايزابيلا Isabella (1574 -1609 م) للقضاء على المسلمين في غرناطة[37].

واشتهر التجار اليهود بنقل الأقمشة الحريرية والملابس الفاخرة والأدوات والحلي من أسواق قرطبة إلى نساء الحكام والأمراء النصارى، فقد كن ينتظرن وصول التجار اليهود بفارغ الصبر[38]. وصاحب هؤلاء التجار جيوش نبرة وقشتالة وليون يبيعون ويشترون ما تصل إليه يد

---

32) أبو الحسن علي بن يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، م6، 1968، ع 1-2، ص 177-178؛ س.د جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، تعريب عطية القوصي، الكويت، 1980، ص 162؛ رجب عبد العليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، القاهرة، د.ت، ص 427؛ الزغول، الحرف والصناعات ص 90.

Ashtor, the Jews of Muslem Spain, Vol.2 p. 141.

33) أبو يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي، أمثال العوام في الأندلس، حققها ونشرها محمّد بن شريفة، ق1، 1975، ص 216.

34) ابن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار الأندلس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت، 1971، ص 149؛ مذكرات الأمير عبد الله، ص 30.

Ashtor, The Jews of Muslem Spain, Vol.2, 141, Vol .3 p. 75-76.

35) ابن الحكيم، الدوحة المشتبكة، ص 59-60.

36) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 41-42؛ ابن الكردبوس، الاكتفاء، ص 89؛ المقري، نفح الطيب، ج4، ص 358، 346؛ الحميري، الروض المعطار، ص 84؛ النويري، نهاية الأرب، ج 23، ص 450؛ ابن الخطيب، الإحاطة، م 3، ص 110 محمّد بن عبود، التاريخ السياسي والاجتماعي لإشبيلية في عهد الطوائف، تطوان، 1983، ص 252، 274؛ يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمّد عنان، القاهرة، 1958، ص115.

37) Lindo, The history of the Jews of Spain, p. 140-170.

38) المقري سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، دمشق، 1985، ص 208، نفح الطيب، ج1 ص7، 93-94؛ عبد العليم، العلاقات، ص 470-412.

الجنود من مغانم الحرب وأسلابها، وما أكثرها في ذلك الحين، خصوصاً وأنّ الحرب كانت لا تكاد تنقطع بين المسلمين أنفسهم، وبينهم وبين النصارى، فكانت لهم مراكز تجارية يقيمون فيها مثل برشلونة، حيث يلتقي بهم هناك تجار من اليونان ومرسيليا وجنوة وبيزة وصقلية ومصر وفلسطين، بغية البيع والشراء[39].

وبالنسبة إلى تجارة يهود الأندلس الخارجية، أقاموا شبكة من العلاقات التجارية مع الجماعات اليهودية على طول وادي الرون والبلاد الواقعة عليه. وكان هؤلاء التجار يقومون بنشاط واسع في مجال تجارة العبيد، في المنطقة الممتدة بين نهر الألب وبلاد الأندلس. من جهة أخرى هناك شبكة تجارية من اليهود تمتد من إسبانيا حتى المغرب الأقصى، وتشمل السوس الأقصى والصحراء والسودان،كانت تعمل في تجارة الذهب والعبيد السود دون أن يقطع نشاطها ما يجري في تلك البلاد من الصراعات السياسية[40].

ولم يقتصر عمل اليهود في الأندلس على الزراعة والحرف والتجارة، بل امتد إلى مجالات اقتصادية أخرى، منها العمل في مجال الفلك والطب والتنجيم والموسيقى والغناء[41].

ونتيجة لما سبق فلا غرو أن نجد من بين اليهود بعض الأفراد والعائلات التي اشتهرت بثرائها، نذكر منهم حسداي بن شبروط وإسماعيل بن نغريلة وابنه يوسف، حتى أن بعض المدن التي كانت تسكنها أغلبية يهودية تميزت بازدهارها الاقتصادي مثل وادي آش وأليسانة[42].

(يتبع)



39) بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، ص2-3؛ موسى، النشاط الاقتصادي، ص 110-117 ؛ عبد العليم، العلاقات بين دول الأندلس ص 470، 412.

Ashtor, The Jews of Muslem Spain, Vol.3, p.67.

40) أبو عبيد البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت، دار الرشاد، 1968، ص 61 ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 299 ؛ ترتون، أهل الذمة، ص 99 ؛ أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، الإسكندرية ، د.ت، ص 246 ؛ جوايتاين، دراسات في التاريخ الإسلامي، ص 173، 214 ؛ لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص 118، ص 305-317.

S.M. Imamuddin, the Economic History of Spain Under Umayyads, Decca, 1963, p 337-338, 342 ; Robert Burns, Muslims, Christians and Jews in the Crusader Kingdom of Valencia, Cambridge, Cambridge University press, 1984, P.126-161.

41) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج.1 ص 127، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء ، ص 498 ؛ صاعد، طبقات الأمم، ص 113-116 ؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 130-131 ؛ عباس، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف، ص 53.

42) مذكرات الأمير عبد الله ، ص 38 ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص 299 ؛ ابن عبود، التاريخ السياسي، ص 74.

EL FORZADO

Don Louis de Gongoura
1561-1627
(Cordoue)

Amarrado al duro banco
De una galera turquesca,
Ambas manos en el remo,
Y ámbos ojos en la tierra ;
Un forzado de Dragut,
En la playa de Marbella,
Se quejaba al ronco son
Del remo - y de la cadena.
"¡O sagrado mar de España !
Que con tus crecientes besas
Las murallas de mi patria,
Coronadas y soberbias ;
Traeme nuevas de mi esposa,
Y dime si han sido ciertas
Las lágrimas y suspiros
Que me dice por sus letras,
Pues he vivido diez años
Sin libertad y sin ella,
Siempre al remo condenado
A nadie matarán penas.
En esto se descubriéron,
De la religion seis velas,
Y el comitre mandó usar
Al forzado de su fuerza.

Le Captif
Romance mixte

Don Juan Maria Maury
(Traducteur)
1826

Sur une barque africaine
Un captif fendant les flots,
Rêvant la plage lointaine,
De sa rame et de sa chaîne,
Trompait le bruit en ces mots

Noble golfe d'Ibérie
Puisque tes flots ondoyans
Baignent l'enceinte chérie
Des remparts de ma patrie,
Couronnée et foudroyans :

Apporte- moi des nouvelles
De l'épouse de mon coeur
Sont-ce des lettres fidèles,
Sont-ce des larmes réelles
Qu'elle envoie à ma douleur?

Ah! les peines acharnées
Ne hâtent point le trépas
Voici bientôt quatre années
Dans l'esclavage traînées,
Sans elle et sans mes combats.

Ici sa plainte qui touche
Ceux qui partagent son sort,
Vient expirer sur sa bouche,
Car le comite farouche
Commande : Silence à bord.

الأسيـر*

أنشُـودَةٌ مُـزْدَوَجَـةٌ

- للشاعر الإسباني: دون لويس دي قنغورا (1561- 1627).
- نقلها من الإسبانيّة إلى الفرنسية شعرا دون خوان ماريّة موري (القرن 19)
- ونقلها من الفرنسية إلى العربية شعرا الأستاذ محمّد بن صابر (تونس).

زَوْرَقٌ إِفْرِيقِـيٌّ شَـقَّ عُبَابَـا   وَأَسِيرٌ خَـاضَ المِيَـاهَ غِلاَبَـا
حَالِمًـا فِكْـرُهُ بِشَـطٍّ بَعِيـدِ   وَيُغَنِّـي مُغَـالِطًـا بِالنَّشِيـدِ
صَـوْتَ مِجْذَافِـهِ وَصَوْتَ القُيُـودِ

يَـا خَلِيـجَ الأَوْطَـانِ أَنْتَ نَبِيلُ   وَبِـكَ المَـوْجُ سَاحِـرٌ وَجَمِيـلُ
فِيـكَ أَسْوَارُ مَوْطِنِي سَابِحَاتُ   وَهْـيَ تِيجَـانُ رَوْعَـةٍ فَاتِنَـاتُ
حَامِيَـاتٌ بِعَضْبِهَـا دَاوِيَـاتُ

هَـاتِ أَنْبَاءَهَـا فَقَدْ فَاضَ حُبِّي   وَاشْتِيَـاقِي إِلَـى حَبِيبَـةِ قَلْبِي
أَهْـيَ مِنْهَـا رَسَائِلٌ بِالوَفَـاءِ   أَمْ دُمُـوعٌ تَنْهَـلُّ عِنْـدَ بُكَـاءِ
بَعَثَتْهَـا إِلَـى أَلِيمِ شَقَائِـي

وَيْلَتَـاهُ العَـذَابُ مَا كَانَ يُدْنِي   أَجَـلَ المَـوْتِ لاَ وَلاَ هُوَ يُفْنِي
أَرْبَـعٌ قَدْ قَضَيْتُهَـا فِيهِ جَهْدَا   لَـمْ أَزَلْ فِي مَهَانَتِي اليَوْمَ عَبْدَا
يَـا شَكَـاةً بِهَا يَلُـوذُ الأَسَارَى   وَلَـدَى البَائِسِيـنَ أَمْسَتْ شِعَارَا

أَخْرَسَـتْ فَـاهُ مُوجِسٍ تَعْنِيتَـا   حِيـنَ أَبْـدَى جَلاَّدُهُمْ جَبَرُوتَـا
صَائِحًـا فِيهِـمُ : جَمِيعًا سُكُوتَـا

(*) أخذنا النصّ الأصلي الإسباني والنصّ بالفرنسية من كتاب :
Espagne poétique:choix de poésies iostillanes (paris 1826,Tome II p 134 et 144)

المكتبة الأندلسيّة

هيئة التحرير

1- مؤلّفات الأستاذ محمّد بوذينة : واصل الأستاذ محمّد بوذينة تآليفه التي يصدرها في سلسلة " من غرر الشّعر". وقد كنّا قدّمنا من هذه السلسلة رقم 8 و9 في العدد 14 من مجلّة "دراسات أندلسيّة". ونحن إذ نبارك هذا الجهد العلمي الجبّار الذي يقوم به الشاعر الأديب الأستاذ محمّد بوذينة، نقدّم للسّادة قرّاء مجلّة "دراسات أندلسيّة" تعريفا بهذه المؤلّفات القيّمة التي نعتبرها مكتبة لا غنى لأيّ باحث في الشّعر العربي قديمه وحديثه عنها. وسنكتفي بذكر عناوين هذه المؤلّفات التي لا علاقة باختصاص مجلّتنا، ونقدّم ما كان له بها صلة:

أ - **محمّد بوذينة : القصيدة الزّينبيّة لعلي بن أبي طالب** (منشورات محمّد بوذينة - الحمّامات، إنجاز سراس للنّشر، المطابع الموحّدة - تونس ، مارس 1955 ، 97 ص) : وهو رقم 10 من سلسلة "من غرر الشّعر".

ب- **محمّد بوذينة : مرثيّة مالك بن الرّيب ومعارضاتها** (منشورات محمّد بوذينة - الحمّامات، إنجاز سراس للنّشر، المطابع الموحّدة - تونس ، مارس 1955 ، 191 ص) : وهو رقم 11 من نفس السّلسلة السّابقة.

ج - **محمّد بوذينة :أبو البقاء الرّندي ورثاء الأندلس**(منشورات محمّد بوذينة - الحمّامات، إنجاز سراس للنّشر، المطابع الموحّدة - تونس ، مارس 1955 ،176ص) : وهو رقم 12 من نفس السلسلة.

بدأ الأستاذ محمّد بوذينة كتابه بالتّرجمة لصاحب مرثيّة الأندلس وهو أبو البقاء صالح بن شريف الرّندي. ولد برُندة بالأندلس سنة 601 / 1204 ، وبها نشأ وتعلّم. وبذلك يكون الشاعر قد عاش في ظرف من أحلك الظروف التي مرّت بها الأندلس، بعد أن انهارت الدّولة الموحديّة في معركة العقاب سنة 609 / 1212.

وفي هذه الفترة العصيبة التي تساقطت فيها مدن الأندلس كأوراق الخريف بيد النّصارى، نظم مرثيّته المشهورة. وهي قصيدة في اثنتين وأربعين بيتا على البحر البسيط. مطلعها :

لكلّ شيء إذا ماتمّ نقصان ... فلا يغرّ بطيب العيش إنسان

وقد بكي فيها الرندي أهمّ القواعد الأندلسيّة الكبرى مثل بلنسية ومرسية، وشاطبة،

وقرطبة ، وجيّان، وإشبيلية.

ثمّ حاول الأستاذ محمّد بوذينة تتبّع أشهر القصائد التي جاءت على نفس البحر والقافية قبل قصيدة الرّندي، كقصيدة ابن الرّومي (ت 283 / 897)، وأبي الفتح البستي (ت 401 / 10 10)، والشريف الرّضي (ت 1015 / 406)، والرّصافي البلنسي (ت 572 / 1176)، والملك الأمجد بهرام شاه من ملوك الدّولة الأيوبيّة (ت 628 / 1231).

وقام الأستاذ بوذينة في مرحلة ثالثة بتقديم خلاصة لتاريخ الأندلس منذ الفتح العربي لها سنة 92 / 711 إلى سقوط غرناطة 897 / 1492. وفي مرحلة رابعة قدّم أهمّ القصائد التي قيلت في سقوط الدّول، وفي رثاء البلدان، وفي الأستغاثة، من الشعر القديم والحديث بالمشرق والمغرب العربيين.

ثمّ أورد الأستاذ بوذينة نونيّة أبي البقاء الرّندي مع الشكل والشّرح لما غمض من لغة في أبياتها. ثمّ أورد ما أضافه يحيى القرطبي إلى هذه القصيدة من أبيات وعددها 15 بيتا. ثمّ أتى على التّوالي بمجموعة من معارضات قصيدة الرّندي كقصيدة ابن أبي دينار القيرواني وعلي الغراب الصفاقسي (ت 1181 / 1767)، وسيّد مختار الكنتي الموريتاني (ت 1226 / 1811) وأحمد الأصرم 1278 / 1861، وأحمد شوقي (ت 1932)، والشاعر السّعودي محمّد بن عبد الله بن عثيمين (ت 1363 / 1944)، والحاج عبد الحسين الأزري (ت 1954)، والشاعر الكويتي خالد بن محمّد الفرج، وأحمد زكي أبو شادي، وعبّاس محمد العقّاد، وأحمد رامي، وعلي حافظ السّعودي، والشيخ عبّاس الملاّ علي، وسليمان سلامة، وأحمد محمّد الشّامي اليمني، وعدنان النّحوي الفلسطيني، ويوسف العظم، وزاهر بن عواض الألمعي، ووليد الأعظمي، وكمال عبد الرّحيم رشيد، وراشد حسين الفلسطيني والصادق الفقي، وصالح عبد الله الجيتاوي.

د- **محمّد بوذينة :سينيّة البحتري ومعارضاتها**(منشورات محمّد بوذينة - الحمّامات، إنجاز سراس للنّشر، المطابع الموحّدة - تونس ، ماي 1995، 117ص) : وهو رقم 13 من نفس السّلسلة.

هـ - **محمّد بوذينة :القصيدة الرّصافيّة ومعارضاتها** (منشورات محمّد بوذينة - الحمّامات، إنجاز سراس للنّشر، المطابع الموحّدة - تونس ، ماي 1995، 117ص) : وهو رقم14 من نفس السّلسلة.

و - **محمّد بوذينة تائيّة ابن الفارض ومعارضاتها** (منشورات محمّد بوذينة - الحمّامات، إنجاز سراس للنّشر، المطابع الموحّدة - تونس ،جويلية 1995، 160 ص) : وهو رقم15 من نفس السّلسلة.

ز - **محمّد بوذينة :قصيدة يا ليل الصبّ متى غده، ومائة قصيدة وقصيد في معارضاتها*** (منشورات محمّد بوذينة - الحمّامات، إنجاز سراس للنّشر، المطابع الموحّدة - تونس ،جويلية 1995 ،206 ص) : وهو رقم16 من نفس السّلسلة.

بدأ الباحث بالترجمة لأبي الحسن الحُصري (ت 453 / 1061) وتتبّع حياته بالقيروان والأندلس. ثمّ تحدّث عن آثاره الشعريّة والنّثريّة وأورد له منها نماذج اختارها.

وقصيدة الحصري «يا ليل الصبّ» من أشهر آثار الشّاعر الضرير، بل يمكن القول : إنها من أهمّ القصائد في الأدب العربي، وهي قصيدة على البحر الخبب، دالية القافية بعدها هاء مضمومة تبلغ 99 بيتا مطلعها :

يا ليل الصبّ متى غده   أقيام السّاعة مَوْعِدُه

وهي في وصف طول اللّيل وما يعانيه العاشق من الصبّابة ومسامرة النجوم أرقا. وقد استرسل ناظمها مع عواطفه، فأورد 23 بيتا منها في الغزل، وتخلّص في البيت الرّابع والعشرين إلى ممدوحه أبي عبد الرّحمان محمد بن طاهر صاحب مرسية (ت 455 / 1063).

وقام الأستاذ الباحث بعد ذلك بإيراد قصيدة «ياليل الصبّ» ، ثمّ أعتبها بمعارضاتها وهي مائة معارضة ومعارضة من غرر الشعر العربي قديمه وحديثه.

2 - **التّراث المغربي والأندلسي : التّوثيق والقراءة** : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بتطوان (سلسلة ندوات رقم 4). 533 ص بالعربية، و57 ص بالإسبانيّة والفرنسيّة : يضمّ هذا السّفر معظم بحوث ودراسات النّدوة الثّالثة التي نظّمتها شعبة اللّغة العربيّة بكلّيّة تطوان في أفريل 1991.

قدّم لهذا السّفر الثريّ الأستاذ الدكتور محمّد الكتاني قيدوم الكليّة، ورأى في هذه الملتقيات العلميّة بكلّيّة تطوان : «موسما يستقطب صفوة الدّارسين والباحثين المعنيين بتراثنا المغربي الأندلسي». هذا التراث الذي يعتبر" شاهدا على الحضارة التي أبدعها أسلافنا في الغرب الإسلامي على أسس التعايش والتسامح والتفتّح، والمساهمة في نشر المعرفة الإنسانيّة. ومدّ الجسور العلميّة بين الشرق والغرب".

وقد تضمّن هذا السّفر 26 بحثا باللّغة العربيّة و6 بحوث بالإسبانيّة والفرنسيّة. ومن هذه البحوث على سبيل الذكر لا الحصر :

* عرّفنا بهذا الكتاب باعتبار أنّ القصيدة من حيث المكان، نظمها صاحبها وهو في الأندلس، ومن حيث الموضوع، قيلت في مدح أحد أمرائها.

- أوليات منهجيّة لتحقيق التّراث المخطوط، للدكتور محمّد الكتّاني (المغرب).

-تحقيق التّراث النّحوي، للدكتور عيّاد الثبيتي (السّعوديّة).

- كتب تراجم الرّجال بالأندلس، للدكتور عبد الله المرابط التّرغي (المغرب).

- التّعريف بمخطوط أندلسي، للأستاذ محمّد كرّو (تونس).

- كتاب أسماء شيوخ مالك بن أنس ، للأستاذ عبد العزيز السّاوري (المغرب).

- نصوص مخطوطة من التّراث الأندلسي، للدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة (ليبيا)

- التجديد المنهجي و المجتمع الطائفي، للدكتور امحمّد بن عبّود (المغرب).

- بين ابن درّاج القسطلّي وابن هانئ الحكمي أبي نواس، للدكتور عبد الله الطيّب (السّودان)

- العوامل المؤثرة في مصداقيّة الفتح بن خاقان في كتابيه : مطمح الأنفس وقلائد العقيان، للدكتور صلاح جرّار (الأردن).

- الرّسائل المزاوجة في النّثر الأدبي المغربي والأندلسي، للدكتور محمّد مسعود جبران (ليبيا).

Le manuscrit Ar. 1483 de l'Escurial et la polémique contre Gazali dans Al - Andalus

DOMINIQUE URVOY

Sobre repertorios bibliografic andalusies

JUAN M. VIZCAINO

Las ideas politicas en Al-Andalus

MARIA J.VIGUERA

La actividad intelectual en Al-Andalus en epoca de los reyes de taifs.

MANUELA MARIN

Almentación en Al-Andalus

DAVID WAINES

El "Principe Amnistiado " en El Damm Al- Hawa de Ibn Al- Gawzi.

TERESA GARULO

3- شاطبة : الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي (التاريخ السياسي والحضاري) : للدكتورة سحر السيّد عبد العزيز سالم، نشر مؤسّسة شباب الجامعة - الإسكندرية 1995، 629 ص).

مدينة شاطبة من مدن الأندلس الهامة، التي أدّت دوراً بارزاً في حوادث الأندلس عبر حقب التاريخ الإسلامي، فقد كانت إحدى القواعد والحصون الأمامية للمسلمين في شرق الأندلس بحكم موقعها الجغرافي الهام، فهي تقع على بعد 56 ك.م جنوب غربي بلنسية في سفح جبل حيث هضبة المزيتا الحالية. وهي وإن كانت مدينة داخلية لا تطلّ على البحر، إلا أن ارتباطها الوثيق بكلّ من بلنسية ودانية وطرطوشة ولقنت، ووفرة المياه في أراضيها ساعدها على أن تتبوأ مركزاً تجاريًا متميّزاً عبر العصور التاريخية المختلفة، فنشأ بينها في العصر الإسلامي وبين أقطار المغرب، لا سيما إفريقية والمغرب الأوسط وغانة والسودان نوع من التبادل التجاري المباشر، وكان التجّار يتجهزّون فيها بالأمتعة المختلفة إلى تلك البلاد.

كذلك كانت شاطبة مركزاً صناعيًا هامًا، خاصّة فيما يتعلّق بصناعة الجلود وورق الكاغد. وقد ذاعت شهرة الكاغد الشاطبي في النصف الأول من القرن 6 / 12، ومنها انتشر الورق الشاطبي في المشارق والمغارب.

لم تكن مدينة شاطبة قاعدة استراتيجية وحصناً عسكريًا إسلاميًا أماميًا، ومركزاً اقتصاديًا فحسب، ولكنّها تميّزت أيضا بوفرة علمائها في مجالات الأدب واللغة والطب، وفي العلوم الدينية كالفقه والحديث والقراءات.

لهذه الأسباب مجتمعة اختارت الباحثة مدينة شاطبة لدراستها، خاصة عندما وجدتْ أنها لم تلق اهتمامًا كبيراً من الباحثين، فقد تركز اهتمام المؤرخين بدراسة تاريخ بقية مدن شرق الأندلس مثل بلنسية ومرسية والمرية ودانية، أما شاطبة فلم تلق ما تستحقه من دراسة، وكلّ ما كتب عنها في المصادر العربية شحيح، هزيل لا يتناسب والدور الذي اضطلعت به عبر تاريخها الإسلامي.

وقسّمت الدكتورة بحثها إلى دراسة تمهيديّة وبابين، الباب الأول خاصّ بالتّاريخ السياسي لمدينة شاطبة في العصر الاسلامي، ويشتمل على فصلين : الفصل الأول، تناولتْ فيه تاريخ شاطبة منذ قيام دولة بني أمية في الأندلس حتى بداية عصر المرابطين، والفصل الثاني عالجتْ فيه تاريخ شاطبة منذ بداية العصر المرابطي حتى سقوطها في يد خايمي الأول ملك أرجون.

أمّا الباب الثاني فقد أفردته لدراسة مظاهر الحضارة بشاطبة في العصر الإسلامي، ويتألف من فصلين : الأول يتعلّق بالحياة العلمية، والثاني يتعلّق ببعض مظاهر الحياة الاقتصاديّة والعمرانيّة والأثرية.

4 - *Compendio de Derecho islámico* "Risála Fi - L- fiqh" d'Ibn Abi Zayd Al-Qayrawání . Edicion de Jesús Riosalido (Editorial Trotta; S.A 1993, 249 - pages):

Desde la Edad Media ha gozado de un extraordinario prestigio en el mundo islámico una singular obra jurídica que reunía en sí el doble mérito de ser un excelente resumen de Derecho malikí y de estar escrita en un estilo didáctico accesible a cualquier lector : *la Risála fi-l-fiqh o Compendio de Derecho islámico.* Su autor era el jurista español Ibn Abí Zayd al Qayrawání, nacido el año 311 / 923 en el pueblo toledano de Nafza o Vascos, hoy desaparecido,y que emigró pronto a la ciudad tunecina de Qayrawán donde moriría a los setenta años de edad. En la Risála se expone todo el amplio abanico del Derecho islámico, desde la familia hasta las sucesiones y desde la oración a los entretenimientos, pasando por la hacienda y la peregrinación a La Meca.

Esta edición de la Risála representa la primera traducción castellana de tan imprtante texto jurídico, parte integrante de la historia del Derecho español. El libro consta de tres apartados : una Introducción, dedicada a analizar el desarrollo del Derecho árabe- islámico, con especial atención a las diversas escuelas jurídicas, entre ellas la hegemónica, la malikí ; la traducción , acompañada de notas ; y un estudio de Derecho comparado entre las doctrinas jurídicas islámicas y el Derecho romano clásico y justiniano.

Compendio de Derecho islámico no es sólo una página de la historia cultural de Al-Andalus. Significa al mismo tiempo un texto vivo de Derecho malikí que sigue en vigor, e 'tre otros lugares, en el Norte de Africa y en las comunidades islámicas de Es, aña. De ahí que la obra ahora traducida resulte útil tanto a quien desee co.. er mejor el Derecho hispano-musulmán como al abogado en ejercicio que n cesite de une prontuario para dar respuesta a consultas jurídicas concrestas.

El editor de este volumen y traductor del árabe de la Risála es jusús Riosalido, estudioso del Islam c ásico y buen conocedor también del mundo islámico actual. Doctar en Derecho por la Universidad Complutense de Madrid y diplomático de carrera, ha ocupado, entre otros cargos, el de Director del Instituto Hipano - Arabe de Cultura y el de embajador de España en Damasco (Siria). Miembro de la Academia de la Lengua Arabe, el doctor Riosalido ha traducido del árabe diversos textos literarios comptemporáneos y ha publicado asimismo *Tesoro de reglas, Gramática árabe comentada, 2 vols.*

- ISOC: éditée par le CSIC. Elle contient environ 240.000 références bibliographiques concernant les articles publiés dans plus de 1.300 revues éditées en Espagne dans les domaines de sciences sociales et humaines.
- BIBLIOGRAFIA ESPAÑOLA: éditée par la Bibliothèque Nationale de Madrid. Elle contient les références bibliographiques de toutes les monographies éditées en Espagne depuis 1976.

5.2. PRODUCTION DES MAISONS D'EDITION

Notre centre reçoit régulièrement les catalogues des principales maisons d'édition espagnoles. Parmi elles, figurent celles qui sont consacrées, d'une manière complète ou partielle, à la publication de livres d'arabisme. Ces catalogues, auxquels nous avons recours chaque fois que nous passons une commande de livres, offrent une idée globale et complète sur la production de l'edition en Espagne, et peuvent être consultés par nous usagers sur leur demande.

5.3. BULLETINS DE NOUVEAUTES

Une fois achevée l'opération d'informatisation du fond bibliographique, nous envisageons d'entamer l'élaboration de bulletins de nouveautés pour faire part à nos usagers des nouvelles acquisitions des différentes sections de la bibliothèque. Ces bulletins seront envoyés périodiquement et gratuitement à toute personne ou institution qui le demande.

Actuellement, nous recevons le bulletin de la plus importante bibliothèque espagnole spécialisée dans la culture et la civilisation arabes, Cuadernos de la Biblioteca Islámica Félix Maria Pareja. Ce bulletin informe ponctuellement de ses nouvelles acquisitions et contient parfois des répertoires bibliographiques concernant les travaux élaborés par des arabisants espagnols sur des thèmes arabo-musulmans ou par des professeurs étrangers sur al-Andalus.

Nous espérons recevoir prochainement le bulletin de nouveautés de la section Afrique et Monde Arabe de la Bibliothèque Nationale de Madrid.

4. AUDIOVISUEL

Notre vidéothèque, bien qu'elle se soit beaucoup développée, elle se trouve encore dans la phase de création. Néan moins, nous disposons d'une collection documentaire éditée par Radio Televisión Española dont certaines cassettes contiennent des reportages sur le riche patrimoine hispano-musulman de villes espagnoles comme Cordoue, Grenade ou Séville. Parmi les documents audiovisuels prioritaires que l'Instituto envisage d'acquérir prochainement, figurent des reportages sur différents aspects de l'art et l'histoire espagnols et notamment ceux appartenant à l'héritage andalous.

Complètent notre fond audiovisuel d'intéressantes collections de diapositives accompagnées de commentaires sur cassette audio:
- Museo Arqueológico Nacional, collection éditée par le Ministère de la Culture, dont 12 diapositives représentent la section médiévale islamique du musée.
- Moisés Ben Maimón "Maimónides", 1135-1204, éditée par le Ministère de la Culture. Elle comprend 180 diapositives illustrant la biographie de ce savant cordouan.
- Arte hispano árabe. Cette collection comprend 80 diapositives représentant la Mosquée et l'Alcazar de Cordoue, la Casbah de Malaga, la Giralda de Séville, plusieurs mosquées, portes arabes et synagogues de Tolède, le Monastère de Guadeloupe, le Château de la Mota, et d'autres éléments d'architecture arabe de Palma de Majorque, Avila ou Calatayud. Cette collection ne comporte pas de cassette audio
- Cerámica española. Dans cette collection nous trouvons des reproductions de pièces de céramique hispano-arabe et hispano-mauresque. Cette collection ne comporte pas de cassette audio.

Dans une collection éditée par le Ministère de la Culture et consacrée aux biographies des principales figures de l'histoire et la culture espagnoles, nous distinguon la cassette audio consacrée au savoir arabe et juif dans l'Espagne médiévale: Maimónides y Averroes: el saber árabe y judío en la España medieval.

5. SERVICE DE DOCUMENTATION BIBLIOGRAPHIQUE

5.1. BASES DE DONNEES

Notre centre dispose, comme nous l'avions déjà signalé, de plusieurs bases de données en CD-Rom. Ces bases, actualisées périodiquement, permettent la recherche rapide de n'importe quelle référence bibliographique à partir du nom de l'auteur, du titre, de la maison d'édition ou du lieu de publication. Une index de matières détaillé permet aussi la recherche de tous les livres, revues et articles qui traitent d'un thème déterminé. Dans cet index on trouve des mots clés, tels que "al-Andalus", "hispano-musulman" et "hispano-árabe".
- CIRBIC: éditée par le CSIC. C'est une base de données pluridisciplinaire qui informe sur les livres et les revues appartenant aux 89 bibliothèques du CSIC.

bulletins de sommaires qui permettent aux usagers de connaître, d'une manière rapide et facile, le contenu détaillé de chaque volume.

Dans la section d'arabisme nous disposons des titres suivants:

Revues qu'on ne resoit plus

- Al-Andalus, éditée par l'Escuela de Estudios Arabes du CSIC. Semestrielle. Collection assez complète de 1946 à 1977.
- Almenara, éditée par l'Instituto Hispano-Arabe de Cultura. Annuelle. Collection assez complète de 1971 à 1976.
- Awraq, éditée par l'ICMA. Annuelle. Collection complète jusqu'à 1992. Seulement les huit premiers volumes sont consacrés à al-Andalus.
- Cálamo, éditée par l'Instituto Hispano Arabe de Cultura. Trimestrielle. Plusieurs numéros de 1984 à 1987.
- Cuadernos Africanos y Orientales (ex Cuadernos de Estudios Africanos), éditée par l'Instituto de Estudios Políticos de Madrid. Trimestrielle. Nous disposons seulement des volumes publiés entre 1949 et 1950 et entre 1955 et 1957.
- Cuadernos de la Biblioteca Española de Tetuán. Semestrielle. Collection incomplète jusqu'à 1976.
- Cuadernos de Historia del Islam, éditée par l'Université de Grenade. Annuelle. Collection complète de 1975 à 1984.
- Sefarad, éditée par l'Escuela de Estudios Hebraicos du CSIC. Semestrielle. Collection assez complète de 1941 à 1968.

Revues qu'on resoit périodiquement

- Al-Qantara, éditée par le CSIC. Annuelle. Depuis 1994.
- Boletín de la Asociación Española de Orientalistas, éditée par l'Asociación Española de Orientalistas. Annuelle. Collection complète depuis 1965.
- Miscelánea de Estudios Arabes y Hebraicos, éditée par l'Université de Grenade. Annuelle. Collection assez complète de 1953 à 1964. Relancée en 1983.
- Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos de Madrid. Irrégulière. Depuis 1987.
- Revue d'Etudes Andalouses. Annuelle. Collection complète depuis 1988.
- Sharq al-Andalus, éditée par l'Université d'Alicante. Annuelle. Depuis 1992.

Dans d'autres sections, on peut trouver d'autres revues qui s'occuppent d'une manière sporadique de thèmes en rapport avec l'Espagne musulmane. Nous citons, entre autres: Geo, Historia 16, Arbor, Revista de Occidente et Anuario de Estudios Medievales.

En 1996, nous envisageons nous souscrire aux publications suivantes:

- Al-Andalus-Magreb, éditée par l'Université de Cadix.
- Aljamia, éditée par l'Université de Oviedo.
- Anaquel de Estudios Arabes, éditée par l'Université Complutense de Madrid.
- Cuadernos de la Alhambra, éditée par el Patronato de la Alhambra.

économique, la démographie, l'ethnologie et même la gastronomie. Dans ce sens, plusieurs travaux intéressants se rapportant à ces études ont vu le jour: le processus d'arabisation et d'islamisation après la conquête, la vie quotidienne, les relations entre les différentes minorités religieuses, les habitudes culinaires, les activités des souks, les pratiques sexuelles, la division territoriale et administrative, le rôle de la femme, le pouvoir naval de al-Andalus dans la Méditerranée, etc.

Nous citerons notamment la collection Estudios onomástico-biográficos de al-Andalus, qui est le fruit de l'étroite collaboration entre l'Escuela de Estudios Arabes et l'Instituto de Filología (les deux appartiennent au CSIC). Les cinq volumes déjà apparus contiennent plusieurs articles basées sur l'emploi des sources d'information biographique (notamment les dictionnaires de ce type) qui constituent de précieux outils pour la connaissance de l'histoire de l'Espagne musulmane. Cette équipe envisage d'élaborer un dictionnaire biographique de al-Andalus. Dans ce sens, le volume V de cette collection a été complètement consacré à l'étude de plusieurs familles andalouses.

En jurisprudence, aux ouvrages à caractère général, comme celui de Castejón sur Los juristas hispanos musulmanes, ont succédé une série de monographies plus spécialisées comme celle consacrée aux formulaires notariaux.

Nous disposons également des catalogues des dernières expositions qui ont eu lieu en Espagne sur la céramique, l'art, la science ou la technologie musulmans.

2.7. LA COMMUNAUTE JUIVE

Concernant la communauté juive de al-Andalus, nous disposons d'une série de répertoires sur les principaux auteurs hébreux de cette époque-là, ainsi que de plusieurs études sur les juifs de Cordoue, Navarre et Madrid et d'autres sur les synagogues et les juiveries en Espagne. Nous possédons aussi une histoire de la littérature hispano-hebraïque et plusieurs travaux sur les poètes Ibn Ezra, Ibn Gabirol et Yehuda Ha-Leví.

2.8. LA COLLECTION FUENTES ARABICO-HISPANAS

La bibliothèque dispose de douze des quatorze volumes de la collection Fuentes Arábico-Hispanas, coéditée par le CSIC et l'ICMA. Ils contiennent l'édition ou la traduction d'oeuvres de Ibn Habib, Ibn Harith al Khushani, Ibn Zuhr, Ibn Hisham al-Lakhmi, al-Rushati, Ibn al-Kharrat al Ishbili, Ibn Bashkuwal, Abu Hamid al-Garnati, Ibn Baso et Abu Bakr al-Turtushi.

3. REVUES

Notre hémérothèqueest lúne des sections de notre bibliothèque qui a subi dernièrement une vaste réforme: nous en avons regroupé et informatisé le fond, des abonnements à plusieurs revues ont été souscrits, et on a commencé l'élaboration de

En ce qui concerne la littérature, à part l'oeuvre Literatura hispano-árabe de M.J. Rubiera Mata, la poésie andalouse est représentée par les divans de Al-Mu'tamid, Ibn Khatima, Ibn Quzman, Ibn al-Zaqqaq, Ibn Zaydun, Ibn al-Yayyab y al-Rusafi, ainsi que par les antologies de Ibn al-Khatib Kitab al-Sihr wa-l-shi'r, Poemas arábigo-andaluces et Cinco poetas musulmanes, (de E. García Gómez), Ajimez (de M. J. Hagerty), Poesía femenina hispano-árabe (de M.J. Rubiera Mata) y Diwan de las poetisas de al-Andalus (de T. Garulo). La fleurissante production littéraire des "taifas" est représentée par les études de H. Peres, Esplendor de al-Andalus, et de J. Cheikha, Désordres et guerres dans la poésie andalouse.

Deux travaux sur les "maqamas" andalouses (de M. Tarchouna et de F. de la Granja), l'oeuvre de Ibn Hudayl, Kitab Hilyat al-fursan, et celle de Ibn Hazm, Tawq al-hamama, complètent notre fond sur ce thème.

2.4. PHILOSOPHIE ET RELIGION

La production des philosophes hispano-musulmans est représentée par les ouvrages, édités et traduits en espagnol, de Ibn Tufayl, Risalat Hayy Ibn Yaqzan, Ibn Rushd, Kitab al-Sama' al-tabi'i et Talkhis kitab al-nafs et Ibn Maymun, Moseh nebuhim.

Le soufisme constitue la doctrine la plus traitée dans les études religieuses de notre fond bibliographique. Nous disposons des travaux de M. Asín Palacios sur les oeuvres de Ibn Arabi et de E. de Santiago sur Ibn al-Jatib. Quant à la pratique religieuse, nous comptons sur l'oeuvre de deux auteurs andalous: Kitab al-Mustaghithin bi-llah ta'aila, de Ibn Bashkuwal et Kitab al-Hawadith wa-l-bida', de al-Turtushi.

2.5. SCIENCE

Nos principales acquisitions dans ce domaine sont l'oeuvre de J. Vernet, La cultura hispanoárabe en Oriente y Occidente, qui traite del 'important lapport scientifique des hispano-arabes à la culture occidentale, et celle de J. Samsó, Las ciencias de los antiguos en al-Andalus, synthèse de l'histoire de la science andalouse. Nous ajouterons aux précedentes études la nouvelle collection Ciencias de la naturaleza en al-Andalus, éditée par L'Escuela de Estudios Arabes du CSIC et donc les trois numéros publiés contiennent des articles de plusieurs spécialistes sur l'agronomie, la botanique, la médecine, la diététique, la météorologie, la zootechnie et la minéralogie.

Nous disposons aussi de quelques livres, édités ou traduits en espagnol, des principaux savants andalous: Ibn Luyun, Abu l-Khayr et Ibn al-Awwam (agriculture); Ibn Habib, Ibn al-Khatib, Ibn Rushd et Alcoati (médecine); Ibn Zuhr (diététique); Ibn Ezra, Ibn Baso et Abu Ishaq al-Zarqalluh (astronomie).

2.6. AUTRES SCIENCIES

Depuis plus de deux décennies, les arabisants espagnols ont commencé à étudier l'Espagne musulmane sous les nouvelles perspectives qu'offrent des sciences telles que la sociologie, l'économie, l'onomastique, la géographie politique et

La bibliothèque est aussi dotée de plusieurs études de caractère général sur la civilisation hispano-arabe, élaborées au cours de la première moitié de ce siècle par de grandes figures de l'arabisme, tels que R.P. Dozy (Historia de los musulmanes de España, 4 vols.); C. Sánchez-Albornoz, (La España musulmana, 2 vols.), E. Lévi-Provençal, (La Civilización árabe en España) et F.J. Simonet (Historia de los mozárabes, 4 vols.). Cette collection est complétée par d'autres travaux postérieurs, tels que La Civilización hispano-árabe, de T. Burckhardt; Historia de la España islámica, de M.W. Watt; Historia de la España musulmana, de A.G. Chejne, ou la récente étude de M. Cruz Hernández, El Islam de al-Andalus.

Les usagers de notre bibliothèque peuvent aussi disposer de plusieurs oeuvres sur l'histoire des différentes régions espagnoles, comme Majorque, Malaga, Aragon, Saragosse et, évidemment, Grenade.

De même, ils peuvent avoir accès à quelques unes parmi les principales sources historiques de al-Andalus, éditées ou traduites en espagnol: les mémoires du roi `Abd Allah Nasir, le dernier roi zirid de Grenade, La crónica del moro Rasis (version romane du Akhbar muluk al-Andalus, de Ahmad Ibn Muhammad al-Razi), deux fragments du Muqtabis de Ibn Hayyan (le tome V et le tome correspondant aux annales palatines de al-Hakam II), le Kitab A`mal al-a`lam (3ème partie) de Ibn al-Khatib, La historia de al-Andalus de Ibn al-Kardabus, el Kitab al-Ta'rikh de Ibn Habib y la chronique anonyme sur `Abd al-Rahman III al-Nasir (éditée et traduite par E. Lévi-Provençal et E. Garcia Gómez).

La géographie et l'histoire se trouvent combinées dans certains oeuvres, comme le livre anonyme Dhikr bilad al-Andalus (édité et traduit par M.L. Aguila) et ceux de Abu Hamid al-Garnati Al-Mu`rib `an ba`ad `aja'ib al-Maghrib et Tuhfat al-albab.

2.2. ART ET ARCHITECTURE

Outre les études générales classiques élaborées dans les années 50 et 60 par M. Gómez-Moreno, L. Torres Balbás et H. Terrasse (L'Espagne du Moyen Age, civilisations et arts), nous disposons de plusieurs travaux intéressants notamment ceux de A. Bazzana sur la maison hispano-musulmane et ceux de B. Pavón Maldonado sur les villes hispano-musulmanes (Guadalajara, Tolède, Tudela, Ocaña, Alcalá de Henares, et l'ouvrage Ciudades hispanomusulmanas), sur les arts décoratives en architecture ou ses Estudios sobre la Alhambra.

Nous disposons également de plusieurs oeuvres qui se distinguent par l'abondance et la qualité de leurs illustrations représentant les principaux monuments artistiques et architecturaux hispano-musulmans.

2.3. LANGUE ET LITERATURE

Notre bibliothèque possède plusieurs études sur le dialecte andalou élaborées par l'un des éminents spécialistes espagnols, F. Corriente: Arabe andalusí y lenguas romances, A grammatical sketch of the Spanish Arabic dialect bundle et Gramática, métrica y texto del cancionero de Aben Quzman (situation linguistique de al-Andalus à la fin des royaumes des "taifas").

des arabisants et des projets de recherche à l'échelle internationale, ainsi que des éditions consacrées à la diffusion de leur production.

1.GUIDES ET BULLETINS D'INFORMATION

Parmi les guides et bulletins d'information dont nous disposons et qui peuvent s'avérer dignes d'intérêt pour les spécialistes de l'Espagne musulmane, ont peut citer:

- Museos y colecciones de España, édité par le Ministère de la Culture espagnol en 1990. Il comprend une liste détaillée de musées et de collections parmi lesquels figurent ceux consacrés à l'histoire, l'archéologie et les arts décoratifs. Il offre, en outre, un aperçu historique de chaque musée, sa description et les conditions requises pour y accéder.
- Fundaciones culturales privadas, édité par le Ministère de la Culture espagnol en 1993. Il contient des informations sur les activités des différentes institutions culturelles privées existantes en Espagne et parmi lesquelles figurent celles destinées à promouvoir les études hispano-arabes. Ces organisations s'occupent d'encourager les recherches scientifiques, d'accorder des bourses d'études et d'organiser des congrès. Elles s'occupent aussi de l'édition et la publication d'ouvrages et de manuels, de la restauration de monuments et de la création de bibliothèques spécialisées.
- Base de datos DATRI, éditée et actualisée périodiquement par le Consejo Superior de Investigaciones Científicas (CSIC Conseil Supérieur de la Recherche Scientifique). Elle contient des informations détaillées sur les lignes de recherche, les projets, les cours et les membres de plus de 5000 groupes de recherche espagnols travaillant dans les universites et dans les principaux centres de recherche nationaux.
- Boletín informativo Arabismo, il s'agit d'un bulletin quadrimestriel publié par l'Agencia Española de Cooperación Internacional à laquelle appartient l'Instituto de Cooperación con el Mundo Arabe (ICMA Institut de la Coopération avec le Monde Arabe, ancien Instituto Hispano Arabe de Cultura). Ce bulletin nous offre des informations variées sur des activités ayant rapport avec le monde arabe, qui ont lieu en Espagne ou qui sont organisées en collaboration avec des institutions espagnoles: congrès, réunions, séminaires, conférences, journées cinématographiques ou théâtrales, concerts de musique, expositions, etc. Il nous offre aussi des informations sur les activités des différents départements d'arabe des universités espagnoles, des informations sur les derniers livres et les dernières thèses de doctorat soutenues en Espagne sur des thèmes hispano-arabes, etc. D'autre part, le bulletin nous offre, périodiquement et dans un numéro spécial, un répertoire contenant toutes les personnes, les institutions et les revues ayant rapport avec les études arabes en Espagne. Le dernier a été publié en 1994.

2. MONOGRAPHIES

2.1. HISTORIE

Notre bibliothèque est dotée d'importantes collections comportant plusieurs volumes sur l'histoire d'Espagne en général, ceux qui traitent de l'Espagne musulmane ont été élaborés par d'éminents spécialistes, tels que E. Lévi-Provençal, Rachel Arié, P. Chalmeta o P. Guichard.

tâches plus intéressantes telles que l'assistance des étudiants et des chercheurs, la création de dossiers et de bibliographies spécialisés, la collaboration avec les bibliothèques et les institutions locales, etc.

SERVICES

Consultation: Les usagers peuvent accéder à la salle de lecture et y consulter librement les livres et les derniers numéros des publications périodiques. Il convient qu'ils fassent part de ses besoins bibliographiques aux responsables de la bibliothèque pour que ceux-ci en tiennent compte lors de l'acquisition de nouveaux ouvrages.

Référence et information: La fonction du service de référence consiste à fournir à ceux qui les sollicitent toutes sortes de renseignements sur l'Espagne. Ces informations concernent non seulement les cours d'espagnol et les études supérieures en Espagne, mais aussi n'importe quelle autre question ponctuelle sur la réalité culturelle, sociale, politique et historique de notre pays.

Prêt: Le prêt recouvre tous les documents de la bibliothèque excepté les derniers numéros des revues, les ouvrages de référence et les ouvrages de consultation fréquente. La durée maximale du prêt est de deux semaines pour les livres et les publications periodiques et d'une seule semaine pour les vidéocassettes. Cependant, ces délais peuvent être prorogés, à la demande de l'intéressé.

Mediathèque: Notre mediathèque est récente. Elle est petite mais nous envisageons de l'enrichir petit à petit. Elle dispose actuellement d'une collection de 100 vidéocassettes, d'une collection variée de 240 disques compacts de musique classique et contemporaine espagnole et d'une riche collection de diapositives sur l'art espagnol. Ce matériel peuvent être prêté ou utilisé sur place.

Documentation: Grâce aux bases de données informatisées dont elle dispose et qui englobent les différentes publications et recherches produites en Espagne, la bibliothèque de l'Institut peut procurer à ses usagers la copie de n'importe quel article ou livre édité en Espagne. Les services de documentation sont gratuits excepté si le coût est estimé élevé.

FOND BIBLIOGRAPHIQUE SUR AL-ANDALUS

Notre bibliothèque est dotée d'un grand nombre de livres sur l'Espagne musulmane. On pourrait classer ceux-ci en deux groupes selon qu'ils aient été publiés avant ou après les années soixante-dix et ce pour mettre en relief l'évolution qu'a subi l'arabisme espagnol au cours des dernières décennies.

En effet, l'histoire de l'Espagne musulmane a cessé d'être une simple matière d'érudition pour faire partie intégrante et fondamentale de l'histoire de l'Occident méditerranéen en général et de l'Espagne en particulier. L'appui apporté aux arabisants espagnols par nos institutions publiques et privées, ainsi que l'apparition de nouvelles technologies, ont perfectionné, accéléré et diversifié la production intellectuelle dans ce domaine. Cela a eu pour conséquence l'accroissement du nombre

LA BIBLIOTHEQUE

La bibliothèque se trouve au rez-de-chaussée de l'Instituto Cervantes, sis au 120, Avenue de la Liberté, 10002 - Tunis-Le Belvédère. Elle est ouverte au public du lundi à vendredi, de 11h00 à 18h30. La salle de lecture est trop étroite (43 m²). Elle n'a une capacité que pour 18 personnes. Des 17500 ouvrages dont nous disposons, un tiers seulement y tient. Le reste est rangé dans la salle des professeurs et les salles de classe de l'Instituto. Les personnes désirant accéder à la bibliothèque et bénéficier des services qu'elle offre, doivent présenter deux photos d'identité et payer 5 dinars à titre de frais d'inscription pour l'année scolaire en cours.

LE PERSONNEL

Le personnel de la bibliothèque est composé de M. Javier Campillo, licencié en histoire et de Mlle. Francisca Segura, licenciée en philologie arabe. Les deux ont reçu une formation et ont acquis une longue expérience dans le domaine de la documentation et la bibliothéconomie.

USAGERS

Nos usagers habituels peuvent être classés dans cinq groupes différents en fonction de leurs besoins:
- Les étudiants du Département d'Espagnol de la Faculté des Lettres de la Manouba.
- Les étudiants d'Espagnol de l'Instituto Cervantes.
- Les élèves et les professeurs d'Espagnol des établissements de l'enseignement secondaire.
- Les résidents espagnols en Tunisie.
- Les hispanisants et les spécialistes des études morisques et de al-Andalus.

ACQUISITIONS ET INFORMATISATION

Durant deux années consécutives, nous avons concentré tous nos efforts sur l'acquisition et le traitement des documents dont ont besoin nos principaux usagers: les étudiants d'Espagnol de la Faculté des Lettres de la Manouba (actualisation des fonds bibliographiques relatifs à la langue, à la littérature et à la civilisation espagnoles et hispano-américaines); les spécialistes de al-Andalus (une grande partie du budget destiné à l'acquisition des livres -quatre millions de pesetas, 35.000 DT environ- a été dépensée pour la création d'un fonds bibliographique actualisé comprenant les dernières publications sur l'histoire de al-Andalus.)

A dessein de perfectionner notre service de prêt et de consultation et de le rendre efficace et rapide, nous avons procédé, depuis six mois environ, à l'informatisation de tous les registres bibliographiques et de toutes les tâches relatives à la gestion des livres et documents. L'inauguration du service de prêt informatisé est prévue pour le mois de mars 1996. Cette opération d'informatisation sera doublement avantageuse car tout en permettant un contrôle total et une recherche rapide des documents existants, elle décharge le personnel de la bibliothèque de plusieurs travaux lents et pénibles lui laissant le temps de se consacrer davantage à d'autres

centres de documentations efficaces, prompts à répondre à toutes sortes de questions sur l'Espagne ou l'Amérique latine. A cet effet, il existe au siège de l'Instituto Cervantes, sis à Alcalá de Henares (Madrid), un centre de documentation principal consacré à assister les différentes bibliothèques et à canaliser toutes les demandes de consultation qui y parviennent.

L'INSTITUTO CERVANTES DE TUNIS

L'Instituto Cervantes a été inauguré par Leurs Majestés les Rois d'Espagne lors de la visite qu'ils ont effectuée en Tunisie en novembre 1994. En fait, il ne s'agissait pas d'une création nouvelle mais d'une conversion d'un ancien organisme: c'est l'ex Centre Culturel Espagnol qui est passé depuis lors de la tutelle du Ministère des Affaires Etrangères à celle de l'Instituto Cervantes en s'intégrant à ce réseau constitué de plus de trente centres répartis dans quatre continents.

M. Andrés Pérez Sánchez-Morate, Directeur de L'Instituto Cervantes de Tunis depuis mai 1993 seize mois avant son inauguration officielle, et son équipe de collaborateurs, se sont employés activement à doter l'établissement d'un équipement de didactique et de documentation moderne et ce afin de promouvoir quantativement et qualitativement les activités académiques et culturelles offertes au public tunisien. En témoigne, outre les expositions de peinture et de photographie, les conférences, les concerts, les cycles de didactique de l'espagnol comme langue étrangère, qui ont été organisés jusqu'ici, l'ample réforme qu'a subie la bibliothèque du centre: enrichissement du fonds bibliographique, création d'une vidéothèque, prolongement de l'horaire et amélioration du service de prêts et de consultation, etc.

La présence d'un centre espagnol dans un pays arabe, et notamment maghrébin, est, faut-il le rappeler, favorisée de plusieurs connotations affectives grâce à notre voisinage géographique et surtout aux affinités historiques et culturelles qui nous ont unis pendant plus de sept siècles. Le Roi Juan Carlos en a parlé dans le discours officiel qu'il a prononcé à l'occasion de sa dernière visite en Tunisie: *"Al-Andalus et le Maghreb furent deux solides assises occidentales de toute la civilisation arabo-musulmane. Dans votre pays vous rendez hommage aux apports variés et enrichissants des hispano-musulmans qui, au XVI siècle, découvrirent que la Tunisie n'est qu'une prolongation des paysages et des modes de vie auxquels ils étaient habitués. Nous avons immédiatement aperçu l'empreinte méditerranéenne imprimée depuis plusieurs siècles dans la personnalité de nos deux peuples. Cette culture est un atout appréciable que la Tunisie et l'Espagne peuvent jouer afin de contribuer efficacement à faire régner la paix et la prospérité dans le bassin méditerranéen".*

L'action menée en Tunisie par l'Instituto Cervantes repose sur ce souci de contribuer à atteindre une coexistence dans l'entente et la tolérance. Pour ce faire, il oeuvre, à travers ses cours de langue, ses activités culturelles et académiques et ses services de bibliothèque et de documentation, à renforcer l'entente culturelle entre nos deux peuples. Certes, ces activités et ces services doivent s'adapter aux besoins du public tunisien, notamment aux hispanisants et aux spécialistes de al-Andalus.

FOND BIBLIOGRAPHIQUE DE L'INSTITUTO CERVANTES DE TUNIS SUR AL-ANDALUS

Par Javier Campillo Galmés et Francisca Segura Pérez

"Profitant de tous les éléments de notre culture méditerranéenne commune, chacun de nos deux pays s'évertue à atteindre une connaissance plus exacte et plus étendue du patrimoine et des valeurs culturels de l'autre. Dans sa tâche de diffuser la langue et la culture espagnoles en Tunisie, l'Instituto Cervantes, qui sera inauguré demain dans cette capitale, contribuera certainement à atteindre ces objectifs". (Discours de Sa Majesté le Roi d'Espagne prononcé lors du dîner officiel offert en son honneur par le Président de la République Tunisienne le 9 novembre 1994 au Palais de Carthage)

L'INSTITUTO CERVANTES

Le 21 mars 1991, Sa Majesté le Roi d'Espagne a sanctionné la loi approuvée par les Cortès (assemblée espagnole) relative à la création de l'Instituto Cervantes, une institution chargée de la diffusion, dans les pays non hispanophones, de la langue et la culture espagnoles.

Pour accomplir cette double tâche d'une manière adéquate, cet organisme est en train de perfectionner l'enseignement de la langue espagnole en adoptant les méthodes d'apprentissage de langues secondes les plus avancées. Quant au second objectif, il est nécessaire de préciser que l'Instituto ne se borne pas à diffuser la culture espagnole mais aussi celle de toute la communauté hispano-américaine.

Eu égard à l'importance du rôle que jouent les bibliothèques et les centres de documentation pour mener à bien une mission aussi considérable, la Direction des Affaires Culturelles de l'Instituto s'est fixé un objectif prioritaire consistant à en faire un réseau intégré doté d'infrastructures et de services permanents et modernes.

La fonction de cet ensemble intégré de bibliothèques et de centres de documentation est de réunir des collections d'oeuvres, imprimées aussi bien qu'audio-visuelles, où l'on puisse puiser toute sorte d'informations sur l'Espagne et les autres pays hispanophones: informations sur leur langue, littérature, histoire, géographie, philosophie, culture, art, science et technologie. Les usagers de chaque bibliothèque et centre de documentation disposent également d'oeuvres de didactique de l'espagnol comme langue étrangère, d'oeuvres de références bibliographiques, d'une série de traductions et de livres publiés en d'autres langues sur des thèmes hispaniques ainsi que de livres écrits en espagnol sur d'autres pays et personnalités.

Outre la richesse de leurs fonds bibliographiques et grâce aux bases de données informatisées dont ils disposent, les bibliothèques prétendent à être des

Barcelona era hacer del Mediterráneo una zona de bienestar duradero donde impere la seguridad, la solidaridad y la paz. ¿Y no era éste acaso el fin que perseguían, a través de su pluma, los maestros Jacques Berque, Saâd Ghrab y Garcia Gómez ? Todos los hombres son perecederos, ciertamente, pero algunos, con sus obras maestras, consiguen inmortalizarse.

Djomaâ CHEIKHA

Director de la revista

PRESENTACION

OBRAS INMORTALES

El mundo intelectual ha quedado huérfano a raíz de la muerte, en 1995, de tres eminentes figuras del saber humano. Se han extinguido para siempre tres lumbreras del campo de los estudios arabo-musulmanes, a saber, un gran especialista de las sociedades árabes contemporáneas, un relevante teórico y estudioso del pensamiento islámico y un destacado crítico y traductor de las letras andalusíes.

Aunque sus estudios son varios, dichos intelectuales coincidían en la agudeza y clarividencia intelectual, en la serenidad y perseverancia en el trabajo, en el rigor científico y minuciosidad de la investigación y en la sensatez y objetividad del juicio. Además, los esfuezos intelectuales de estos sabios convergían hacia el mismo blanco : los tres procuraban, a través de su labor científica, inculcar en las mentes unos valores humanos universales. Bienaventuado sea quien, como ellos, luche por la supervivencia de dichos valores sagrados ! Bienaventurado sea quien, aprendiendo de ellos, se consagre a arrancar la maleza para plantar, en su lugar, unas flores olorosas !

El objetivo de la celebración de la última Conferencia de

SOMMAIRE

* * * * *



ISSN - 0330-7549

Revue d'Etudes Andalouses



Janvier / Ramadan
1996 / 1416

Tunis